مجلة نبيونا
Journal Homepage: http://nabiyuna.com
ISSN: 2789-4290 (Print) ISSN 2789-4304 (Online)

القوة القدسية وأثرها في الفكر السياسي الإسلامي
السنة النبوية انموذجاً

قيصر عبد الكريم جاسم حمود الزبيدي[١]
١- جامعة ميسان/ كلية العلوم السياسية/ قسم الفكر السياسي، العراق؛
qeisar100200@gmail.com
دكتوراه في الفكر السياسي الإسلامي / أستاذ مساعد

تاريخ التسلّم: ٧/ ٢/ ٢٠٢٣
تاريخ القبول: ٢١/ ٤/ ٢٠٢٣
تاريخ النشر: ١/ ٦/ ٢٠٢٣
السنة(٣)-المجلد(٣)
العدد(٥)
ذوالقعدة ١٤٤٤هـ
آيار ٢٠٢٣م
DOI: 10.55568/n.v3i5.79-119

CC BY NC

الملخص:

في هذه الدراسة نسعى الى بيان مدى إسهام السنة النبوية في تشكيل الفكر السياسي الإسلامي خلال دراسة أثرها كقوة مقدسة مؤثرة ومتأثرة في تشكيل وتطوير العقل السياسي الإسلامي الذي مر بمراحل تطور عديدة وتعرض لمتغيرات ومؤثرات جمعت بين تأثير الأحوال السياسية وتأثير المدارس الفقهية الإسلامية، وأتبع الباحث المنهج الوصفي والتحليلي في هذه الدراسة، وتبعاً لذلك تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاث مباحث، كان المبحث الأول تحت عنوان: (القوة القدسية والسنة النبوية مفهومهما وتطورهما)، وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: (أثر السنة في تأسيس النظرية السياسية الإسلامية)، والمبحث الثالث وعنوانه: (أثر السنة النبوية في تكوين آليات اختيار الحاكم)، ثم تلاهم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: القوة القدسية، السنة النبوية، الفكر السياسي الإسلامي، النظرية السياسية الإسلامية، آليات الحكم.

المقدمة:

الحمد لله أولاً وآخراً، الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، وصل اللهم على سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد ﷺ وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين، وبعد...

موضوع البحث وأهميته:

صاغ الإسلام نظرية سياسية متكاملة المباني، وبخاصة أنّ الإسلام دين سماوي ختم به الأديان السماوية مع خاصية أخرى امتاز بها عن باقي الديانات السماوية أن دستوره الأساس ككتاب مقدس حفظ ولم يتعرض للتحريف والتغيير، ويأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم كنص مقدس لدى المسلمين هو السنة النبوية بما اشتملت عليه من أقوال وأفعال وتقرير صدر عن الرسول الكريم محمد ﷺ ، فهما المصدر الأساس في صياغة وتأسيس الفكر الإسلامي بما شمل من نظريات ومبادئ وقيم ونظم مختلفة نظمت حياة المسلمين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، لكن هذين المصدرين تعرضا الى تأثيرات خطيرة شقت من هالتهما المقدسة وتمثل ذلك بتحريف تفسير الآيات القرآنية الكريمة، فنصها ثابت لكن عمل بعض ممن يحسب على الفقهاء على تحريف المقصود منها بتفسيرها بما يلائم مع نظرتهم السياسي ومتبناهم الفقهي، وأما السنة النبوية فقد وضع ودس الحديث النبوي في بعض كتب الحديث من اجل ذات الغايات التي حرف بها تفسير القرآن الكريم؛ وهذا فتح مجال واسع أمام الكثير من الباحثين والمفكرين المغرضين ممن كان هواهم شرقياً او غربياً ليصولوا ويجولوا ويضعوا الدراسات والبحوث والمؤلفات التي كانت غايتها الاسمى تمزيق هالة القدسية عن النص الديني لدى المسلمين أسوة بدياناتهم ومذاهبهم، متناسين أنَّ هنالك فارقاً كبيراً بين تحريف النص الأصلي وتغييره وبين تحريف تفسيره ومعناه، فالأول ثابت لأنه خاضع للإرادة الإلهية، أما الثاني فهو متغير خاضع لأهواء البشر ورغباتهم وغاياتهم المتعددة.

دواعي اختيار البحث:

فضلاً عما تم ذكره فإن من دواعي اختيارنا لهذا الموضوع ليكون مدار دراستنا هذه هو معرفة أثر السنة النبوية كقوة مقدسة أسهمت في تكوين الفكر السياسي الاسلامي، ومناقشة أبرز المشكلات التي يطرحها النص النبوي للمسلمين ومدى إمكانية الاستفادة منه كنص مقدس له دلالته ورمزيته وما ينطوي عليه من مخاطر لاهوتية استقرت ووظفت في الفكر السياسي الاسلامي منذ القرن الثالث الهجري.

كذلك مدى التوتر الجدلي بسبب الصراع والتنافس السياسي بين بعض أقطاب ورموز المسلمين في بداية

نشأة الدولة الإسلامية وانعكاسه في تكوين الفرق والمذاهب الإسلامية التي حولته من تنافس سياسي إلى صراع عقائدي فقهي، ولجأت إلى أخطر وسيلة في تنفيذ ذلك وهو دس ووضع النص النبوي وتوظيفه لديها نصرة لما ذهبت إليه، فخلق ذلك تباعد بين النص النبوي وهدفه المذكور آنفاً وبين تطورات التاريخ والسياسة بأبعادهما الاجتماعية والانسانية، فأنتج وجود نظريات سياسية إسلامية، وكذلك أوجد طرق وآليات لاختيار الحاكم اختلفت بحسب رؤية كل مذهب وفرقة إسلامية ودلائلها من النص النبوي – السياسي – التاريخي.

الدراسات السابقة:

سعى الباحث إلى التنقيب في المصادر والمراجع القديمة منها والحديثة عن دراسة متخصصة تتحدث عن (القوة القدسية وأثرها في الفكر السياسي الإسلامي، السنة النبوية انموذجاً)، فلم نعثر على ذلك بحسب ما وصل إليه علمنا، بل وجدنا بعض الدراسات التي تتحدث عن القوة القدسية أو المقدس بشكل عام، ومنها دراسة (مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية) للباحث الحاج القدميري، وكذلك دراسة (المفهوم الوجودي للمقدس والمدنس في الإسلام) للباحث عبد المنصور محسن سلطان، أو أخرى تتحدث عن السنة النبوية وعلومها دون الاهتمام بأثرها السياسي الناتج عن وجهتها نصاً نبوياً مقدساً، ومنها كتاب (السنة النبوية وعلومها) للدكتور أحمد عمر هاشم وكذلك كتاب (السنة النبوية حجيتها وتدوينها) للباحث سيد عبد الماجد الغوري، ولعل كتاب (الاتجاه العلماني المعاصر في دراسة السنة النبوية دراسة نقدية) للباحث غازي محمود الشمري هي الدراسة الوحيدة التي تطرقت لدراسة الجانب السياسي في السنة النبوية؛ ولكنها اقتصرت على دراسة أسباب منع عملية تدوين السنة النبوية سياسياً ومذهبياً وكذلك أسباب وضع الحديث النبوي، دون الاحاطة بأثر السنة النبوية في وضع النظريات السياسية الإسلامية او أثرها في وضع آليات الحكم، بعد الاطلاع عليها وعلى مثيلاتها، وجدنا إنها تتحدث بشكل عام، لذلك رأى الباحث وجوب وضع دراسة تنير للباحثين وطلبة العلم بعض جوانب هذا الموضوع ومدى أهميته العلمية.

فرضية البحث:

اعتمد الباحث على وضع فرضية أساسية ومحاولة الإجابة عنها خلال هذه الدراسة وهي: هل أن للسنة النبوية كنص نبوي وقوة مقدسة للمسلمين أثراً مهماً في تأسيس وتطوير الفكر السياسي الإسلامي؟

طبيعة البحث ومنهجه:

اتبع الباحث المنهج الوصفي والتحليلي في هذه الدراسة، وتبعاً لذلك تم تقسيم هذه الدراسة على ثلاثةَ مباحث كان المبحث الأول تحت عنوان: (القوة القدسية والسنة النبوية مفهومهما وتطورهما)، وأما المبحث الثاني

فكان بعنوان: (أثر السنة النبوية في تأسيس النظرية السياسية الإسلامية)، والمبحث الثالث وعنوانه: (أثر السنة النبوية في تكوين آليات اختيار الحاكم)، فكانت طريقة عرضهما بشكل سردي - موضوعي، لاتصال الحديث بهما وعدم المقدرة على فصلهما إلى مطالب متعددة، ثم تلاهم الخاتمة التي عرضت نتائج البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت في هذا البحث.

المبحث الأول. القوة القدسية والسنة النبوية (مفهومهما وتطورهما):

المطلب الأول. القوة القدسية والسنة النبوية في اللغة:

في البدء علينا أن نعرف الاشتقاق اللغوي للفظة القوة القدسية والتي هي مشتقة من القوة والقوي، القاف والواو والياء أصلان متباينان، يدل أحدهما على شدة وخلاف ضعف والآخر على خلاف هذا وعلى قلة خير، فالأول القوة، والقوي خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوى[١] والقوة ضد الضعف، والقوة هي الطاقة من الحبل وجمعها قوى[٢] والمقوى الذي أصحابه وإبله أقوياء والمقوى الذي يقوى وتره، إذا لم يجد أغارته فتراكبت قواه، ورجل شديد القوى، أي شديد أمكر الخلق [٣]، وأيضا ان القوة من القوي من قوى على الأمر وأطاقه، وقوي يقوى فهو قوي والجمع قوى، وجمع قوى أقوياء والاسم قوة[٤].

وأما لفظ القدسية فقد اشتق جذره اللغوي من المُقَدَّس في اللغة العربية والمفهوم الإسلامي لها يأتي بمعانٍ متعددة منها: التنزيه، والطهارة، والتعظيم، والبركة، والحرمة[٥]،ويقال قدس يقدس تقديساً ومقدساً، وقدس أصلٌ صحيح وأظنه من الكلام الشرعي الإسلامي ويدل على الطهر[٦]، والقدس بسكون الدال وضمها الطهر أسم مصدر ومنه قيل للجنة حظيرة القدس والتقديس التطهير وتقدس تطهر والارض المقدسة المطهرة[٧]، والمقدس هو الطاهر المنزه من العيوب والنقائص[٨]، وتعني كلمة المقدس (*Sacer*) عند الرومان القدماء بحسب تعريف أرنو ميّيه : ((الشخص او الشيء الذي يستحيل لمسه دون أن يُرجِّس أو يُرجَّس))[٩]، فالكلمة تتوزع بين استحالة إمكانية اللمس وبين إمكانية الانتهاك في حالة تحقق هذا اللمس، ولن يكون هذا التفكير فيها إلا شكلاً من أشكال ملامسة المقدس أي ترجيسه[١٠]، وورد في موسوعة لالاند الفلسفية عدة معانٍ لتعريف الاشتقاق اللفظي

---

١ ابن زكريا، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، محمد، عبد السلام، ج٥، بيروت، دار الفكر، ص ٣٦-٣٧.

٢ الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح، ط١، دار الفكر ناشرون ،الاردن، ص. ٢٥٤.

٣ ابن زكريا، مقايس اللغة، ص٣٧.

٤ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الحسيني احمد، ط١ ،بيروت، ص٢١٧.

٥ محسن، عبد الناصر سلطان، المفهوم الوجودي للمقدس والمدنس في الإسلام، دراسة تحليلية، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، كلية ازلان شاه الاسلامية الجامعية، ماليزيا، ع٤، ص١٢٢.

٦ ابن زكريا، معجم مقايس اللغة، ج٥، ص٦٣.

٧ الرازي، مختار الصحاح، ص٢٤٠.

٨ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ج٥، بيروت، ص٣٦٦.

٩ كايوا، روجيه، لانسان والمقدس، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٠، ص٥٦.

١٠ قارة، صباح ، إشكالية نزع القداسة من المعرفة،جامعة محمد، كلية الاداب، الجزائر، ص٥٧.

واللغوي لمفهوم القداسة، قديس قدسي، قداسة قدسية[١١] Saint Saintete: ما يجب أن يكون موضوع احترام لا يمكن انتهاكه مثل (قدسية القوانين المعاهدات والمواثيق)، ويقصد به الكامل أخلاقياً سواء في الكلام على الأشخاص، أم في الكلام على القوانين أو الاعمال وكذلك الشخص الذي يريد الخير ويفعله ذاتياً بموجب طبيعته الفطرية أو المكتسبة وليس بالهيمنة على ميوله السيئة، وعنى به أيضاً إلهي (الثالوث الأقدس)، (الروح القدس).

وأما السنة النبوية فقد ورد في اشتقاقها اللغوي ان السنة من سن وهما أصل واحد مطرد وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة، ومما أشتق منه السنة وتعني السيرة[١٢]، وسنة الله أحكامه وأمره ونهيه، وسنها الله للناس بينها وسن الله سنة أي بين طريقاً قويماً[١٣]،وسنة رسول الله ﷺ سيرته، والسنة هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة[١٤]، وقيل السنة هي الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق[١٥]، والسنة مفرد وجمعها سنن[١٦].

وقد أورد د. أحمد عمر هاشم ((زعم بعض الباحثين*- أن المسلمين أخذوا كلمة سنة من كلمة مشناة العبرية التي اطلقها اليهود على مجموعة الروايات الإسرائيلية، واعتبروها شرحاً للتوراة ومرجعا لهم في تعريف احكامها وأن المسلمين عربوها بكلمة سنة، واطلقوها على مجموعة الروايات المحمدية واعتمدوها لأحكام دينهم كما فعل اليهود))[١٧]، وقد أورد في معرض رده على هذه الشبهة في الاشتقاق اللغوي للفظ السنة النبوية وعدها زعم خاطئ وفرية زائفة بعدة نقاط هي:

ان علماء الإسلام استعملوا هذه الكلمة في الصدر الأول فيما استعملها القرآن الكريم.

ان كلمة السنة عند المسلمين إذا أطلقت على ما اضيف الى الرسول ﷺ فإنما تعنى ما روى عن الرسول ﷺ نفسه، وليس ما أثر عن العلماء الذين فسروا القرآن على نحو ما حصل في كلمة مشناة.

كانت الروايات الإسرائيلية عند اليهود تحل محل التوراة في احكامهم، بخلاف السنة فأنها عند المسلمين في

---

١١ لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، خليل احمد، م٣ ،بيروت، منشورات عويدات، ص١٢٣٥-١٢٣٦.

١٢ ابن زكريا، مقاييس اللغة، ج٢، ص٦٠-٦١.

١٣ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٢٥.

١٤ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٢٥.

١٥ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٢٦.

١٦ الرازي، مختار الصحاح، ص١٥١.

١٧ هاشم، د.احمد عمر السنة النبوية وعلومها، ط٢ ، القاهرة، دار غريب للطباعة، ص١٨.

* لم يحدد من هم الباحثون الذين ذكروا هذا الأمر.

المرتبة الثانية بعد القرآن، ولا يتجهون اليها الا إذا لم يجدوا في القرآن نصاً واضحا لمعرفة الحكم.

ان كلمة السنة موجودة في اللغة العربية منذ القدم، واستعملوها في لغتهم ونطق بها كتابهم الكريم[١٨].

ويمكن ان نضيف لجملة ما ذكر في أعلاه بما يلي:

إن الاختلاف كبير جدا في الاشتقاق اللغوي بين كلمة (مشناة العبرية) وكلمة (سنة العربية)، فالأولى كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري (شناّه) ومعناه بالعربية (يثني أو يكرر أو يدرس)[١٩]، بينما الاشتقاق اللغوي للفظ (سنة) وكما مرّ بنا في أعلاه، فهي تعني السيرة أو النهج أو الطريقة، وشتان بين هذا وذاك.

الاختلاف في المعنى اللغوي – الاصطلاحي لكلتا اللفظتين، فكلمة مشناة تعني: الشروح والتفاسير لأسفار العهد القديم التي قالها التنائيم (المفسرين) من حاخامات اليهود، أي انها بمنزلة كتب التفسير عند المسلمين، بينما كلمة السنة تعني ما قاله الرسول محمد ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً، هو نفسه وليس غيره، ولو كانت المشناة هي ما نقلت عن النبي موسى ﷺ بشخصه، لجاز لنا وضع التشابه، ولو إن التشابه قد يكون محصوراً في التوحيد*، مع الإقرار بوجود الاختلاف في العبادات وجوانب المعاملات، فلكل منهما شرعة ومنهاج خاص به، فعلوم السنة النبوية تختلف عن علم التفسير من أوجه عدة، وهذا أيضا يبين لنا الفرق بين المشناة العبرية والسنة النبوية العربية.

إن المشناة ترمز لعهد جديد في نمط تعليم التوراة حيث لا يتم الحديث باسم الأنبياء بل باسم الحاخامات، في حين أن علماء السنة النبوية ورواة الحديث النبوي والسيرة النبوية كلها تنطوي على نقل ما روي عن شخص الرسول محمد ﷺ أقواله وأفعاله وتقريراته، وسيرته وصفاته، وهنا أيضا الفرق بينهما شاسع.

المطلب الثاني. القوة القدسية والسنة النبوية في الاصطلاح:

في الجانب الاصطلاحي نجد إن مفهوم القوة القدسية يحوي على نوع من الصعوبة في وضع تعريف شامل وواف لها؛ وذلك لأنّها من المصطلحات الحديثة التي دخلت إلى مضمار البحث والدراسة في مجال الفكر الإسلامي على الرغم من إن الجذر اللغوي لها قديم قدم الحضارة الإسلامية وله دلالاته ومعانيه التي سبق التطرق لها، إلا إن وضع تعريفاً اصطلاحياً له مجاله من التعقيد والغموض، مما تطلب تفكيك هذا المصطلح الى

١٨ هاشم، د.احمد عمر السنة النبوية وعلومها، ط٢،القاهرة، دار غريب للطباعة، ص١٨.

١٩ موقع ويكيبيديا، ينظر مفهوم كلمة مشناة الرابط.٢٠٢٢، /Https://Ar.Wikipedia.Org/Wiki

* إن الديانة اليهودية هي دين سماوي توحيدي أنزله الله تعالى على نبيه موسى (عليه السلام) ومن بعده من انبياء بني إسرائيل، الا ان التغيير والتحريف تم بعد ذلك من قبل حاخامات اليهود التي حرفت الدين اليهودي، وجعلت من العزير أبن لله تعالى عن ذلك علوا كبيرا قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ) سورة التوبة، آية ٣٠.

مفرداته (القوة، القدسية أو المقدس) والتطرق لها بانفراد ثم دمجها للخروج بتعريف نهائي، وتبدو الكتابات قليلة ونادرة لدى الباحثين في مجال الفكر الإسلامي حول القوة القدسية ولذلك يبدو هذا الموضوع بكراً في طور البحث والدراسة، وقد أشار أحد الباحثين إلى ذلك بالقول: ((...المقدس يعتبر من اكثر المواضيع غموضاً وذلك راجع إلى تعدد المقدسات وتنوعها، والغموض الذي اتسم به المقدس طال حتى الأبحاث التي تناولته حيث اتجهت انظار علماء الأديان والاجتماع والفلسفة وغيرهم إلى دراسة المقدس وقد استوقفهم كلمة المقدس وأثارت انتباههم من ناحية مفهومها والمقصود بها خاصة وأن المقدس يختلف من لغة إلى لغة ومن ثقافة إلى ثقافة ومن تجربة تاريخية إلى تجربة تاريخية...))[٢٠].

ويظهر المقدس في تجليات ثلاث هي : المكان والزمان والاشياء، فبعض الأمكنة يحدث ذكرها عند الانسان شعورا خاصاً يتمثل في التقدير والتعظيم، وقد يتمثل المقدس في الزمان او يتجلى في أشياء تم إضفاء القداسة عليها واعطائها طابعاً مقدساً[٢١ ٢٢ ٢٣]، والأمثلة لهذه التجليات الثلاث في الموروث الثقافي للديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، وكذلك في الديانات الوضعية، مع اختلاف واضح جداً فيما بينهما من فهم للمقدس وتجلياته وقد أشارت إحدى الدراسات الى هذا الاختلاف، حيث يقول الباحث الحاج القدميري: ((المقدس في الأديان السماوية الثلاث: الإسلام، المسيحية واليهودية، كان مرتكزاً على النبوة والوحي الإلهي، وهما صلة الوصل بين الإله والبشر فكان المقدس أكثر وضوحاً في هذه الديانات لإنها ديانات التوحيد ... والمقدس في الأديان الوضعية كان مختلفاً لأنه جاء[على] وفق معايير توصل إليها الإنسان بمحض إرادته كما هو الشأن في الديانة الهندوسية والبوذية والزرادشتية والإنسان في هذه الأديان يقدس الأشياء إما لأنها تعود عليه بالنفع وإما لخطورتها عليه في الحياة أو غيرها))[٢٤].

ومن الأمثلة على تقديس الزمان والمكان قد قدس المسلمون الكعبة المشرفة كونها بيت الله الحرام كمكان مقدس، وكذا هيكل سليمان وحائط المبكى لليهود، والفاتيكان للنصارى، ومن الزمان المقدس لدى المسلمين الأشهر الحرام، وايام الحج وايام الحزن كيوم عاشوراء، وايام الفرح كأعياد الفطر والأضحى، وقدس اليهود

---

٢٠ القدميري، الحاج، مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، الأردن، ع٢٧، ص٥٨٣.

٢١ قارة، صباح، إشكالية نزع القداسة من المعرفة، ص٦١.

٢٢ مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، منشورات دار دمشق ، دمشق، ص٢٣-١٥٤

٢٣ الزاهي، نور الدين، المقدس الإسلامي، منشورات دار توبقال، المغرب، ص٢٩.

٢٤ القدميري، الحاج، مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، الأردن، ع٢٧، ص٥٨٥ .

عيد رأس السنة العبرية (روش هاشانا) وعيد الغفران وعيد الثامن الختامي (شميني عتسيريت)، وقدس النصارى يوم مولد السيد المسيح، وعيد رأس السنة الميلادية، ومن بين الأشياء المقدسة الكتب السماوية لدى المسلمين القرآن الكريم والتوراة لليهود، والانجيل للنصارى[٢٥ ٢٦ ٢٧]، وهنالك أمكنة وأزمنة وأشياء مقدسة لدى الديانات الوضعية أسهبت إحدى الدراسات في الحديث عنها[٢٨] والفارق بينهما أنَّ المقدس في الديانات السماوية مصدرها الله تعالى، وفي الديانات الوضعية مصدره البشر، وأنّ كان الكل يهدف إلى تطهير الإنسان وتلبية حاجاته الروحية والاجتماعية[٢٩].

أما التعاريف الاصطلاحية التي عرفت بها القوة منها انها تعني: ((القدرة التي تمكن من السيطرة على الناس، ومن الضغط عليهم ورقابتهم، للحصول على طاعتهم والتدخل في حريتهم وتوجيه جهودهم الى نواح معينة))[٣٠]، فالقوة هنا بمعنى القدرة على التأثير في سلوك الاخرين، وأما عن لفظة المقدسة؛ فقد أورد يوسف شلحد في تعريفه للمقدس بانه: ((هو هذه الخفية واللاشخصية، الخيرة والرهيبة التي يعتقد بانها وراء كل سلطان وكل سعادة، كما يعتقد بأنها وراء كل شقاء وهو فوق ذلك موقفٌ تكون فيه الكائنات والاشياء مستبعدة من العالم الدنيوي المدنس))[٣١]، وأما عبد الله دراز؛ فيقول:((هو تعظيم للقيم الكبرى والمثل العليا، فمظهره في الناحية السلبية عدم انتهاك الحرمات، وفي الناحية الإيجابية الاقبال على الفضائل اغترافاً من معينها، وتذوقاً لجمالها))[٣٢].

أما السنة النبوية فهي الأخرى قد نالت نصيباً من الاختلاف في تحديد تعريفها الاصطلاحي، ويجمل لنا أحد الباحثين سبب هذا الاختلاف بالقول: ((ظهرت للسنة تعريفات مختلفة في لسان أهل الشرع وكان هذا

---

٢٥ قارة، صباح، إشكالية نزع القداسة من المعرفة، (جامعة محمد، كلية الاداب، الجزائر، ص٦١-٦٢.

٢٦ القدميري، الحاج، مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، الأردن، ع٢٧، ص٥٨٥-٥٨٩.

٢٧ الزاهي، نور الدين، المقدس والمجتمع، منشورات أفريقيا الشرق، المغرب، ص٤١-٤٤.

٢٨ القدميري، الحاج، مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، الأردن، ع٢٧، ص٥٨٩-٥٩٢.

٢٩ القدميري، الحاج، مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، الأردن، ع٢٧، ص٥٧٧.

٣٠ الحضرمي، عمر، الدولة الصغيرة القدرة والدور، مجلة المنار للبحوث والدراسات، ع٤، مج١٩، ص٥١.

٣١ شلحد، يوسف، بنى المقدس عند العرب، د.خليل احمد خليل، ط١ ،بيروت، دار الطليعة للطباعة، ص٢٣.

٣٢ دراز، محمد عبد الله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان، د.ط ، بيروت، مطبعة الحرية، ص٥٣.

حسب اختلاف الأغراض التي اتجه اليها العلماء من ابحاثهم، فبعد ان تشعبت العلوم التي تبحث في السنة برزت هذه التعريفات محددة الغرض في كل اتجاه، فعلماء أصول الفقه عنوا بالبحث عن الأدلة الشرعية، وعلماء الحديث عنوا بنقل ما أضيف الى النبي ﷺ، وعلماء الفقه عنوا بالبحث عن الاحكام الشرعية من فرض وواجب ومندوب وحرام ومكروه، والمتصدرون للوعظ والإرشاد عنوا بكل ما أمر به الشرع أو نهى عنه))[٣٣]، من هذا المنطلق نجد التعدد في التعريفات التي وضعها كل مختص بالسنة النبوية في مجال معين، على وفق نوع دراسته لها وطبيعة تعامله مع نصوصها والهدف الذي يروم الوصول اليه في استخدام النص النبوي في مجاله العلمي.

وهنا نورد بعض التعريفات الاصطلاحية التي عرفت بها السنة النبوية حيث ورد انها يراد بها اصحاب الشرع: ((ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز))[٣٤]، ومعنى السنة عند الفقهاء فهي تطلق عندهم على : ((ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه))[٣٥]، وفي رأي لباحث آخر ان مفهومها عند الفقهاء بأنها: ((هي ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب فهي عندهم صفة شرعية للفعل المطلوب طلبا غير جازم، ولا يعاقب على تركه))[٣٦]، وأما علماء الأصول فعرفوا السنة بأنها ((هي كل ما روى عن النبي ﷺ مما ليس قرآنا من أقوال أو أفعال أو تقريرات مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي))[٣٧ ٣٨]، وفي حين جاء تعريف السنة عند المحدثين بأنها : ((ما أضيف الى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف أو سيرة، ويشمل الوصف صفاته – الخلقية والخلقية، كما تشمل السيرة حياته المباركة قبل البعثة وبعدها))[٣٩ ٤٠]، وهذا التعريف يبين أن السنة النبوية عند المحدثين أعم منها عند الأصوليين الذين لا يدخلون السيرة والوصف في تعريفهم لها[٤١]، وبالمجمل يمكن تعريف السنة النبوية بأنها:

---

٣٣ هاشم، د.احمد عمر، السنة النبوية وعلومها، ط٢ ،القاهرة، دار غريب للطباعة، ص١٦-١٧.

٣٤ ابن، منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٢٥.

٣٥ الغوري، سيد عبد الماجد، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط٢ ،ماليزيا، دار الشاكر للطباعة والنشر، ص١٤.

٣٦ هاشم، د.احمد عمر السنة النبوية وعلومها، ط٢ ،القاهرة، دار غريب للطباعة،ص١٧.

٣٧ هاشم، د.احمد عمر السنة النبوية وعلومها، ط٢، القاهرة، دار غريب للطباعة،ص١٧.

٣٨ الغوري، سيد عبد الماجد، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط٢ ،ماليزيا، دار الشاكر للطباعة والنشر، ص١٤.

٣٩ هاشم، د.احمد عمر السنة النبوية وعلومها، ط٢ ، القاهرة، دار غريب للطباعة، ص١٧.

٤٠ الغوري، سيد عبد الماجد، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط٢ ، ماليزيا، دار الشاكر للطباعة والنشر، ص١٤.

٤١ الغوري، سيد عبد الماجد، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط٢ ، ماليزيا، دار الشاكر للطباعة والنشر، ص١٤.

المنهج النبوي العام النظري والعملي الذي جاء به النبيﷺ لشرح شريعة الله تعالى لتكون دستوراً للحياة[٤٢].

المطلب الثالث. القوة القدسية والسنة النبوية في القرآن الكريم والحديث النبوي:

القوة المقدسة ومظاهرها وتجلياتها متعددة في الموروث الإسلامي والوارد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فقد وردت لفظة القوة في القرآن الكريم في مواضع متعددة وبمعانٍ مختلفة منها: إنها دلت على الملائكة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ النجم:٥، والمراد به جبرائيل ﷺ، وعنت القوة المعنوية – الوجدانية في قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ الأعراف:١٤٥، أي بعزيمة وجد واجتهاد، وبمعنى القوة المادية في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ الانفال:٦٠، أي اعدوا السلاح وعدة القتال، كما عني بها القوة البشرية – الجسدية؛ كما جاءت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ القصص:٢٦، كما عنت بالقوة المطلقة فالقوي من أسماء الله عز وجل الحسنى ومعناه الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال بخلاف المخلوق المربوب[٤٣]، وكذلك وردت بمعنى القوة الغريزية التي تدفع بالإنسان الى الرغبة في التملك أو اتباع بعض غرائزه الفطرية أو المكتسبة قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ ال عمران:١٤، ومما استعرضناه من الآيات القرآنية وهو على سبيل المثل لا الحصر، يتبين أنّ القوة تتطابق تماماً في الجانب اللغوي والاصطلاحي مع ما ورد ذكره في القرآن الكريم.

وأما لفظ القدسية أو المقدس فهي أيضاً كقرينتها السالفة الذكر وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة وبمعان مختلفة، فنجدها تعني الذات الإلهية المقدسة (لله عز وجل)، وسبحانه يملك القداسة المطلقة لذاته، وهي قداسة متجلية وليس مكتسبة؛ تجلت من ألوهيته المطلقة وقدرته على خلق الكون بأسره بكل ما فيه[٤٤]؛ لذا وجب على مخلوقاته أن تقدسه وتعترف بالعبودية له؛ كما جاء في قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة:٣٠، ولهذا وصف الله تعالى ذاته الكريمة بالقول: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الحشر:٢٣-الجمعة:١، وهنالك الفاظ وردت في القرآن الكريم تدل على القدسية لكنها لا تحمل القداسة المتجلية التي هي للذات الإلهية فقط، بل قداسة مكتسبة نتيجة تشريفها من جانب إلهي – ديني، فجاءت قدسيته خلال ما اكتسبه من رمزية دينية استشعرت للبشر نتيجة الاتصال مع الله (عز وجل) كأن يكون المكان المقدس كما ورد في قوله تعالى: ﴿بِالْوَادِ

---

٤٢ النعمة، يوسف محمد علي، مقاصدية السنة النبوية وأثرها في إظهار مرونة الشريعة الإسلامية، (جامعة الجزيرة، كلية التربية، السوان، ص٢٦.

٤٣ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الحسيني احمد، ط١ ، بيروت، ص٢١٧.

٤٤ سورة فصلت، آية ٩ – ١٢.

الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه:١٢،النازعات:١٦، وقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المائدة:٢١، وتارة عنى بها الأشياء المقدسة أو المخلوقات ذات الطابع القدسي ومنها الملائكة، والتي هي الأخرى لم تحمل القداسة لذاتها، بل جاءت من الفيض الإلهي عليه كونها وضعت وسيلة للاتصال والتواصل مع البشر لتحقيق التوجيه الإلهي لهم بما ينفع البشرية؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[٤٥]، ومن هذا نعلم أن لفظة القدسية أو المقدس في القرآن الكريم تحمل معنيّن الأول قداسة متجلية ومكتسبة أو كما وصفها أحد الباحثين بالقول: ((... أن هناك قداسة لذاتها، وقداسة لغيرها وبعبارة فلسفية هناك قداسة مطلقة وقداسة نسبية))[٤٦].

وأما في الحديث النبوي الشريف والسنة المحمدية الكريمة، فهي الأخرى لم تخرج عن نطاق ما ذكر في القرآن الكريم عن القوة القدسية، إلا أنها لم تكن تشمل ما وصف به من معان متعددة، ففي معنى القوة ورد الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير...))[٤٧]، وهي القوة الإيمانية التي يشيد بها النبي ﷺ ويخبر أنها مناط التفضيل هي: القوة المنبعثة من الإيمان والمؤسسة على القاعدة التي تعصمها من الشَّطَطِ والتَّهَوُّر؛ فتشيع الأمن في النفوس والاطمئنان في المجتمعات وليست القوة التي تنطلق من عِقَالها لِتُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ وَتَبُث؛ لتُعَبِّدَ النَّاس لذات مصالحها وحينما يستشعر المؤمن هذا المعنى تكبر نفسه فلا يكتفي بكلمة الإيمان يقولها بينه وبين نفسه؛ بل يعمل بمقتضاها ولوازمها[٤٨] [٤٩].

وأما لفظة المقدس أو القدسية فهنالك خلط بين الاحاديث التي تعنى بمصطلح (المقدس) وبين الاحاديث التي تحمل تسمية (الحديث القدسي) الذي هو مصطلح إسلامي يشير إلى كلام ورد على لسان النبي محمد ﷺ لكن معناه من الله، ويأتي حسب علماء الدين الإسلامي إما بإلهام أو رؤية منامية وهي صادقة عند الأنبياء أو قذف في الروح فهو يختلف عن القرآن الكريم الذي نزل بلفظه ومعناه عن طريق الوحي، ويحتل منزلة بين القرآن والحديث النبوي، أي أنه أقل رتبة من القرآن الكريم وأعلى من الحديث النبوي، ولكن لا يُتعبد به في الصلاة، من خصائص الحديث القدسي أن لفظه لا يتناول التحدي والإعجاز كالقرآن الذي تحدى الثقلين الإنس والجن على أن يأتوا بآية من مثله كما ورد في القرآن الكريم. كما لا يستوفي الإعجاز البياني للقرآن، الذي

---

٤٥ سورة البقرة، آية ٨٧، آية ٢٥٣؛ وقريب منه سورة المائدة، آية ١١٠؛ سورة النحل، آية ١٠٢.

٤٦ محسن، عبد الناصر سلطان، المفهوم الوجودي للمقدس والمدنس في الإسلام، دراسة تحليلية، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، كلية ازلان شاه الاسلامية الجامعية، ماليزيا، ع٤ ، ص١٢٣.

٤٧ الاصبهاني، عبد الله بن محمد، الامثال في الحديث النبوي، د.ت، ط١ ، الهند، منشورات الدار السلفية، ص٢٤٧.

٤٨ الطريحي، فخر الدين مجمع البحرين، احمد الحسيني، م١، ج١، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ص٢١٧.

٤٩ الحقيل، ابراهيم محمد، حديث القوة، مقال منشور في موقع الالوكة، ٤ September ٢٠٠٧.

أعجز بيانه وأبكم ألسن العرب الذين لهم مفخرة وملكة وسلاسة في التعبير واللفظ[٥٠].

ومحل الشاهد من الأحاديث النبوية التي وردت في ذكر القوة القدسية متعددة المظاهر والتجليات التي تحملها، وكما سبق القول سنقتصر الذكر على بعض الأمثلة من باب الاستشهاد والمثال وليس من باب الحصر، ففي مجال قدسية الزمان ومكانته في الفكر الإسلامي نورد ما ذكر من فضل وقدسية (يوم الجمعة) فهو من الأزمنة المقدسة عند المسلمين وقد قرن بين هذا اليوم وبين أهم ركن من أركان الدين الإسلامي وهي الصلاة؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة:٩، والاحاديث التي وردت في فضل يوم الجمعة وقدسيتها كثيرة جدا منها ما روي عن الرسول محمد ﷺ إنه قال عقب نزول هذه الآية: ((... نحن الاخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أتوا الكتاب من قبلنا*، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع، واليهود غداً والنصارى بعد غد))[٥١] فتقديس المسلمين ليوم الجمعة جاء من تقديسهم للصلاة كونها من أوامر الله تعالى للتعبد في هذا اليوم كما ورد في سياق النص القرآني، ولذلك هي قدسية مكتسبة ليوم الجمعة من الله تعالى، وليست قدسية ذاتية أو متجلية، وقد وردت أحاديث أخرى كثيرة تعنى بقدسية الزمان منها في أيام الأعياد، وايام الحج، والاشهر الحرام وغيرها[٥٢].

وورد في قدسية المكان أحاديث كثيرة تتحدث عن قدسية المساجد التي تحمل القدسية المكتسبة من الله تعالى لكرامته عليه، أو لأنها من أماكن التعبد له وهي في كلا الحالين تحمل قدسية مهمة منها على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في مسجد مكة المكرمة والمدينة المنورة، قول الرسول محمد ﷺ: ((صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجد الحرام))[٥٣]، فهنا التقديس جاء من حمل المكان الصفة القدسية بالعمل التعبدي الذي يقوم به المسلمون فيه، وهي الصلاة لله (عز وجل) فالتقديس هنا مكتسب وليس ذاتي أو متجلي، وكذا الحال في الأشياء المقدسة، فقد أهتم التراث الإسلامي بتقديس بعض الأشياء والتي تحمل القدسية المكتسبة وليس المتجلية – الذاتية فمثلاً قدس المسلمون القرآن الكريم ككتاب مقدس وردت فيه ألفاظ مكتوبة منقولة بالوحي الإلهي من الله (عز وجل) إلى النبي محمد ﷺ، ومن هنا جاءت قدسيته ومنزلته الكبيرة لدى المسلمين

---

٥٠ الحديث القدسي، مقال منشور في موقع ويكيبيديا شيعة ٢٠٢٢ .

٥١ البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، د.ت، ط١، بيروت، منشورات دار صادر، ص١٥٨.

٥٢ المصدر نفسه، ص١٦٩-١٧٥، ص٢٦٨-٣١٣.

٥٣ المصدر نفسه، ص٢٠٩.

* عنى بذلك اليهود والنصارى وبحسب الترتيب الزماني سبقوا الإسلام كديانات توحيدية، وكتبهم التوراة والانجيل.

ومما ورد من الحديث النبوي في هذا الجانب قوله ﷺ: ((...خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[٥٤] وغيرها من الاحاديث التي لا عدّ لها ولا حصر[٥٥].

أما السنة النبوية فقد وردت في القرآن الكريم (١٦) مرة في (١١)آية كريمة، وفي آيتين منهما يريد الله من كل إنسان أن يتبع سنته[٥٦]، وفي الآيات التسع الأخرى حديث عن العقوبة التي تحل بمن يخالف سنة الله تعالى والتأكيد على وجوب الالتزام بها[٥٧]، وبالمجمل وردت بمعنى الطريقة والشريعة[٥٨]؛ كما في قوله تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم﴾النساء:٢٣، ووردت بمعنى الطريقة المتبعة كما في قوله تعالى: ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ الفتح:٢٣، وغيرهما من الآيات القرآنية الكريمة، كذلك ورد لفظ السنة في الحديث النبوي الشريف حيث جاءت في بعض احاديث رسول الله ﷺ بمعنى الطريقة والنهج الذي يسن للناس، قال ﷺ: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن يتقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))[٥٩] [٦٠]؛ ومن هذا يتضح لنا إن القرآن الكريم هو المصدر النظري التعليمي التلقيني للمسلمين، وإن السنة النبوية هي المصدر العملي التطبيقي الواقعي المثالي لحياة المسلمين[٦١].

المطلب الرابع. تطور مفهوم القوة القدسية والسنة النبوية:

في البدء علينا التحدث عن التطور الحاصل في مفهوم القوة القدسية حفاظاً على سياق البحث، ثم الانتقال الى الحديث عن تطور مفهوم السنة النبوية، والحقيقة إن مفهوم المقدس في التراث الفكري الغربي يختلف

---

٥٤ المصدر نفسه، ص٩٢٦؛ وفي حديث آخر عنه صل الله عليه واله : (أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)، ص٩٢٦.

٥٥ المصدر نفسه، ص٩١٩-٩٣١.

٥٦ سورة النساء، آية ٢٦؛ سورة الأحزاب، آية ٣٣.

٥٧ سورة آل عمران، آية ١٣٧؛ سورة الانفال، آية ٣٨؛ سورة الحجر ، آية ١٣؛ سورة الاسراء، آية ٧٧؛ سورة الكهف، آية ٥٥؛ سورة الأحزاب، آية ٦٢؛ سورة فاطر، آية ٤٣؛ سورة غافر، آية ٨٥؛ سورة الفتح، آية ٢٣.

٥٨ شاكر، كمال مصطفى، مختصر تفسير الميزان، د.ت، ط٣ ، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص١٠٥.

٥٩ النيسابوري، مسلم ابي الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم أو المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل الى رسول الله، محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٧٠٥.

٦٠ الشيباني، احمد بن محمد بن حنبل، المسند، الأرناؤوط، شعيب، وأخرون، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص١٩٣.

٦١ جاسم، محمد صفاء، السنة النبوية وأثرها في بناء المنهج التفصيلي، مجلة الادب، جامعة بغداد، ع١٠٢، ص٣٣٧.

عـن مفهومـه ومعنـاه في الـتراث الإسـلامي، لكـن مـع وجـود أوجـه للتشـابه وأخـرى للاختـلاف؛ وهـذا يعـود إلى المرتكـزات الثقافيـة والفكريـة لـكلا الثقافتين الغربيـة والإسـلامية، ونحـن لسـنا بصـدد التعـرض الى سرد الاختـلاف بـين معـان المقـدس في التراثين الغـربي والإسـلامي؛ وذلـك لإن هنالـك بعـض الدراسـات التـي سـلطت الضـوء عـلى ذلـك بشـكل وافٍ[٦٢ ٦٣ ٦٤]، بـل سـنعرض لذلـك بشـكل موجـز للحفـاظ عـلى سـياق تسلسـل البحـث.

مـن بـين مـا امتـاز بـه مفهـوم القدسـية أو المقـدس في الـتراث الغـربي إنـه حمـل معـان متعـددة منهـا عنـي بـه : الخـير الاسـمى او الخـير الأعظـم، الفضيلـة، الإلهـي، القـوة، وقـوة المجتمـع، والإجـلال وهـذه المعـاني تعـرض لهـا مجموعة من الباحثـين في الـتراث الفكـري – الفلسـفي الغـربي ومـن بينهـم كانـط الـذي ربـط بـين القداسـة والفضيلـة، و دوركهايـم الـذي أكـد أنَّ المقـدس هـو الإلهـي وفي رأي آخـر لـه ربطـه مـع قـوة المجتمـع في حـين كان رأي مرسـيا إليـاد في ربـط معنـى المقـدس بالقـوة، أمـا روجيـه كايـوا فـكان يـرى ان المقـدس يبعـث في النفـس مشـاعر الرهبـة والإجـلال[٦٥ ٦٦]، كـما يتميـز المقـدس في الـتراث الغـربي بغموضـه وخطورتـه في آن واحـد، بحيـث يصعـب التقـرب منـه؛ لأنَّـه مغلـف بالخفـي ويتعـارض ومناقـض للدنيـوي[٦٧]، كـما نجـده يتصـف بالوجدانيـة[٦٨].

وبالعكـس تمامـاً فـإن المقـدس في الـتراث الإسـلامي يتميـز بتعدديـة الدلالـة وتشـعب إحالاتـه، فقـد يرتبـط المقـدس بالمؤمـن في صيغـة التقديـس؛ ليـدل عـلى الصـلاة والتطهـير، أو بالمؤمـن في صـورة الأنبيـاء كرمـوز مقدسـة، ويعنـي الجمـع بـين الطهـارة الذاتيـة والعرضيـة كالملائكـة، أو قـد يطلـق عـلى المكـان كالمسـجد الحـرام، وأيضـا في صيغـة الزمـان كـما في الأشـهر الحـرم؛ ليعطـي معنـى الحظـر والمنـع وحرمـة الأوامـر الإلهيـة[٦٩ ٧٠]، كذلـك يمتـاز بتوافقـه مـع الدنيـوي، بـل ان الدنيـوي يمثـل موقعـاً داخـل فضـاء المقـدس الإسـلامي، والمقـدس هـو أصـل الحـلال والحـرام وليـس العكـس، فقـد

٦٢ قارة، صباح، إشكالية نزع القداسة من المعرفة، جامعة محمد، كلية الاداب، الجزائر، ص٥٥-٦٦.

٦٣ الحـاج القدمـيري، مفهـوم المقـدس في الأديـان السـماوية والوضعيـة، المجلـة العربيـة للنشـر العلمـي، مركـز البحـث وتطويـر المـوارد البشريـة، الأردن، ع٢٧، ص٥٨٣-٥٨٥.

٦٤ العيار، الأسعد، القداسة في ضوء الحداثة تأصيل أم تأبيد، د.ت، د.ط، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص١-١٥.

٦٥ عزيزي، د.سعيدة، المقدس بين العادة والمعتقد، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، ع٣ ، ص٣٧.

٦٦ غباش، منوبي، المقدس، مجلة دراسات فلسفية، الجزائر، ع٤، ص٧٠ .

٦٧ قارة، صباح، إشكالية نزع القداسة من المعرفة، جامعة محمد، كلية الاداب، الجزائر، ص٥٩.

٦٨ القماطي، التيجاني، المقدس والعنف، مجلة دراسات فلسفية، الجزائر، ع٤، ص٧٠.

٦٩ الزاهي، نور الدين، المقدس الإسلامي، منشورات دار توبقال، المغرب، ص٢٩.

٧٠ قارة، صباح، إشكالية نزع القداسة من المعرفة، جامعة محمد، كلية الاداب، الجزائر، ص٦٢.

يؤدي التحريم إلى التقديس، وكذلك المقدس يتعارض مع المدنس الذي يقابل الخبيث في التصور الإسلامي[٧١].

أما السنة النبوية فهي الأخرى مرت بمراحل عديدة في تطورها التاريخي، قد جرى الخلط بينها وبين مفهوم الحديث النبوي والسيرة النبوية، وهاتان تدخلان ضمن السنة النبوية وليس العكس تماماً، فأما الحديث النبوي وجمعه: أحاديث، ومعناه: القول والكلام، وفي الاصطلاح فهو ما يروى عن النبي ﷺ بعد النبوة من قول او فعل او تقرير وعلى هذا فالسنة أعم من الحديث، وأما الفرق بينهما فهو:

أن لفظ الحديث خاص بكل ما ينقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه من الاقوال والافعال وغيرها.

أن لفظ السنة خاص بما كان عليه العمل بالمأثور عن النبي ﷺ وعن أصحابه في الصدر الأول[٧٢].

وأما الفارق بين السنة النبوية والسيرة النبوية، فالخطأ الذي يقع فيه بعضُ لمعرفة الفرق بين السيرة والسنة هو أنه يضع السيرة موضع السنة ويستدل بأحداث السيرة النبوية على الإلزام كما يستدل بالسنة والقرآن والسيرة النبوية ليست مرادفة للسنة؛ فمن السيرة ما لا يدخل في التشريع ولا صلة له به؛ ولهذا لم يدخل الأصوليون السيرة في تعريف السنة بل قالوا: السنة ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ولم يجعلوا منها السيرة وهنا ملاحظتان مهمتان: الأولى: أنّ في السيرة كثيرًا من الوقائع والأحداث مروية بغير السند المتصل الصحيح فقد كانوا يتساهلون في رواية السيرة ما لا يتساهلون في رواية الأحاديث المتعلقة بالأحكام وأمور الحلال والحرام. والثانية: إنّ السيرة تمثل الجانب العملي من حياة النبي؛ أي تمثل قسم الفعل من السنة غالبًا. والفعل لا يدل على الوجوب والإلزام وحده إنما يدل على الجواز فقط، أما الوجوب فلا بد له من دليل آخر.

والسيرة النبوية فهي في الاصطلاح يراد به تاريخ الرسول ﷺ منذ الولادة وحتي رحيله، والسيرة تتصل بالنبي ﷺ و يقوم درسها علي صحيح الثقة، ولكن تباين منهج التاريخ المعتمد في دراسة السيرة النبوية عن المنهج المتبع في دراسة السنة النبوية، من حيث الدقة في بحثها وأسباب التوثيق فيها، فالمنهج التاريخي في العادة يتساهل الى حد ما في نقل الاخبار المتعلقة بالسيرة النبوية، على عكس المنهج المتبع في السنة النبوية الذي يقوم على الصرامة المتبعة في منهج الجرح والتعديل ونقد نص الحديث النبوي[٧٣ ٧٤]، وهنالك ملاحظة أخرى هو الاختلاف في عناوين علوم السنة النبوية عن السيرة النبوية؛ لذا نجد عند بعض المؤرخين المهتمين برواية

---

٧١ قارة، صباح، إشكالية نزع القداسة من المعرفة، جامعة محمد، كلية الاداب، الجزائر، ص٦٢-٦٣.

٧٢ الغوري، سيد عبد الماجد، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط٢ ،ماليزيا، دار الشاكر للطباعة والنشر، ص١٦.

٧٣ موفى، د.عثمان، منهج النقد التاريخي الاسلامي والمنهج الأوربي، د.ت، ط٤، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص٩٩-١٠٩.

٧٤ طه، د.عبد الواحد ذنون، أصول البحث التاريخي، د.ت، ط١، بيروت، دار المدار الاسلامي، ص٧٧-٩٨.

احداث السيرة النبوية؛ فتقسم الى الحروب التي خاضها الرسول وتسمى المغازي[٧٥]، وباقي حياة الرسول ﷺ عنوان السيرة النبوية والغالب يجمعون بين الاثنين تحت عنوان السيرة النبوية[٧٦].

وقبل ان نختم حديثنا عن تطور مفهوم السنة النبوية لابد أن نشير الى ان الكثير من الباحثين والمهتمين بدراسة السنة النبوية قد قسموها الى ثلاثة اقسام رئيسية وبشكل مبسط ومختصر هي: السنة القولية وهي ما صدر عن الرسول محمد ﷺ من أقوال؛ والسنة الفعلية وهي ما صدر عن الرسول محمد ﷺ من أفعال، والسنة التقريرية وهي ما أقره الرسول محمد ﷺ مما رآه من بعض أصحابه فعلاً كان أو قولاً، بأن يسكت عنه أو يوافق عليه مظهراً استحسانه وتأييده فيعد ذلك اقراراً[٧٧ ٧٨]، وهنالك من أضاف السنة الخِلقّية والخُلقّية وهي ما وصفه الصحابة الرسول محمد ﷺ خِلقاً وخُلقاً[٧٩].

المبحث الثاني. أثر السنة النبوية في تأسيس النظرية السياسية الإسلامية:

أجمع علماء المسلمين وفقهاءهم والمهتمين بالدراسة والبحث في السنة النبوية بوصفها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وإن هذا الوصف اوجب اتباعها وتحريم مخالفتها[٨٠ ٨١ ٨٢]، وقد تضافرت الأدلة القطعية على ذلك فأوجب الله سبحانه على الناس طاعة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُم﴾ النساء:٥٩، وبين أنه هو المبين لما أنزل من القرآن الكريم وذلك بعد أن عصمه من الخطأ والهوى في كل أمر من الأمور؛ كما قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾النجم:٣-٤.

وبناءً على ذلك سعينا إلى دراسة السنة النبوية كنص نبوي مقدس لدى المسلمين باختلاف طوائفهم ومذاهبهم، لنرى ما هو أثرها في التأسيس للنظرية السياسية الإسلامية (Islamic Political Theory) بوصفها جزءآ من دراسة الفكر السياسي الإسلامي والذي يعني مجموعة الأفكار السياسية التي تم تجميعها في صورة

---

٧٥ طه، د.عبد الواحد ذنون، أصول البحث التاريخي، د.ت، ط١، بيروت، دار المدار الاسلامي، ص٨١.

٧٦ طه، د.عبد الواحد ذنون، أصول البحث التاريخي، د.ت، ط١، بيروت، دار المدار الاسلامي، ص٨١-٨٤.

٧٧ هاشم، د.احمد عمر السنة النبوية وعلومها، ط٢ ، القاهرة، دار غريب للطباعة، ص٢٠-٢١.

٧٨ الغوري، سيد عبد الماجد، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط٢ ، ماليزيا، دار الشاكر للطباعة والنشر، ص١٧-٢١.

٧٩ الغوري، سيد عبد الماجد، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط٢ ،ماليزيا، دار الشاكر للطباعة والنشر، ص١٨.

٨٠ الغوري ، سيد عبد الماجد، السنة النبوية أهميتها وواجب المسلمين نحوها، ص٨٣-٨٥.

٨١ الغوري، سيد عبد الماجد، السنة النبوية حجيتها وتدوينها، ط٢ ،ماليزيا، دار الشاكر للطباعة والنشر، ص٢١-٢٢.

٨٢ هاشم، د.احمد عمر السنة النبوية وعلومها، ط٢ ، القاهرة، دار غريب للطباعة، ص٢٥.

نسق تاريخي، لتبدو مدونة ومستقلة عن غيرها من الأفكار التاريخية الخاصة بالظواهر الأخرى[٨٣]، وقد ارتبطت دراسة النظرية السياسية الإسلامية بالفكر السياسي الإسلامي في احدى مجالاتها الرئيسة والجوهرية وهي نظام الامامة والخلافة، والذي اندرج فيما بعد ضمن فقه السياسة الإسلامي[٨٤].

وإنّ الدراسة في مجالات الفكر السياسي الإسلامي يتطلب البحث والتدقيق في النظريات السياسية الإسلامية والتي هي نتاج للتكوين السياسي للدولة الإسلامية، والتنافس على السلطة في بدايات نشأة الدولة الإسلامية، وكما قال الشهرستاني[٨٥]: ((وأعظم خلاف بين الامة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان...))، والتي تحولت بمرور الزمن من صراع وتنافس سياسي، إلى صراع عقائدي – ديني أفرز ظهور مذاهب وفرق إسلامية، أخذت كل واحدة منها تسوق أدلة تدعم به ما تذهب إليه من آراء في من له الحق في قيادة الدولة الإسلامية.

والمطلع على تطور النظريات السياسية الإسلامية يجد فيها التعدد والتنوع، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى التكوين السياسي للدولة الإسلامية، الذي أمتاز بتعدد المشارب والرؤى والأفكار، التي سيقت طوال قرون طوال ولأنّ الحديث يطول فيها سنتوقف عند أبرز تلك النظريات ومدى أثر السنة النبوية كقوة قدسية، في دعم آرائها أو تفنيدها وبيان كيف استفاد منظرو تلك النظريات من السنة النبوية، كنص مقدس في دعم ما ذهبوا إليه وما نبحث فيه هما: نظرية النص أو (الوصية) التي أعتمدها الشيعة الإمامية، ونظرية الأستخلاف (الخلافة) التي أعتمدها أهل السنة والجماعة، وهما أبرز النظريات التي لها امتداد تاريخي – سياسي ، فضلاً عن إنهما أكبر وأبرز مدرستين في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا، غير متناسين ما أدلى به متكلمو باقي الفرق الاسلامية في هذا السياق كالمعتزلة والخوارج والاشاعرة وغيرهم[٨٦ ٨٧ ٨٨].

اعتمدت مدرسة الشيعة الامامية في وضع نظرياتها السياسية على نظرية النص والوصية، والتي تقوم على اعتماد أحقية الإمام علي بن ابي طالب ﷺ وأحد عشر معصوماً من أولاده منصوص عليهم من بعده، ونادوا

---

٨٣ المزوري ، زاهدة محمد الشيخ طه، النظرية السياسية الإسلامية، د.ت، ط١، بيروت، دار ومكتبة البصائر، ص٤٢-٤٣.

٨٤ المزوري ، زاهدة محمد الشيخ طه، النظرية السياسية الإسلامية، د.ت، ط١، بيروت، دار ومكتبة البصائر، ص٤٤-٤٥.

٨٥ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، أحمد فهمي، ط٩ ، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٣.

٨٦ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، محمد عثمان الخشت، د.ط، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ص، ٤٠.

٨٧ الاندلسي، ابن حزام علي بن احمد، الفصل في الملل، محمد ابراهيم نصر الله، ط٢، بيروت، دار الجبل، ص٢٦٥.

٨٨ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، أحمد فهمي، ط٩، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٣٢ .

بأولويته بالخلافة بالنص والوصية من الرسول محمد ﷺ بهم، وعدّوا الإمامة امتداداً للنبوة وأحد أركان الدين[٨٩] [٩٠] [٩١] واستندوا في ذلك الى العديد من نصوص السنة النبوية وربطوها بالعديد من النصوص القرآنية والاحداث التاريخية التي كانت سبباً لنزول بعض هذه الآيات القرآنية، وما قام به الرسول محمد ﷺ من إطلاق أحاديث خاصة بها أو أفعال معينة أو تقريرات قبلها أو رفضها، والتي جاءت توكيداً لما ذهبوا اليه في بناء نظرية النص والوصية، وهي أيضا كثيرة كحديث يوم الدار، وحديث الراية، وحديث غزوة تبوك، وحديث المؤاخاة، وبيعة غدير خم، وغيرها مما وردت في كتبهم التاريخية ، الفقهية[٩٢] [٩٣] [٩٤].

وإن من أبرز النصوص النبوية التي وظفها أتباع مدرسة الشيعة الامامية كنص نبوي – قرآني – تاريخي – مقدس، وهما: حديث يوم الدار الذي جرى عقب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾الشعراء:٢١٤، وملخصه أن الرسول محمد ﷺ جمع أعمامه وأقرباؤه على وليمة أعدها لهم وفيهم أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب وباقي اولاد عبد المطلب وذريتهم، وقيل أنهم كانوا بحدود الاربعون رجلاً، وتولى علي بن ابي طالب عليه السلام أطعامهم وسقايتهم، ويروي عن ذلك: ((... ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فإيكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فاحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً، أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: أن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع))[٩٥].

وفي إجابة للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام على أحد الاشخاص الذي سأله: يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال له بعد ان ذكر ذات الحادثة: ((فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي))[٩٦]، وهنا نجد الترابط بين

٨٩ النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، عبد المنعم الحنفي، ط١، القاهرة، دار الرشاد، ص١٠٥-١٠٨.

٩٠ الاندلسي، ابن حزام علي بن احمد، الفصل في الملل، محمد ابراهيم نصر الله، ط٢، بيروت، دار الجبل، ص١٥٧-١٥٨.

٩١ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، أحمد فهمي، ط٩، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٦٣-١٦٦.

٩٢ الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، د.ت، د.ط، ج١، بيروت،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص١٦٥-١٧٢.

٩٣ الصدوق، محمد بن علي القمي، من لا يحضره الفقيه، د.ت، ط٢، بيروت، شركة الاعلمي للمطبوعات، ص٣٩٩.

٩٤ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي، الارشاد، د.ت، د.ط ، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص١٤-١٢١.

٩٥ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك، د.ت، ط١، بيروت، منشورات الاميرة للطباعة، ص٤٥٩.

٩٦ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك، د.ت، ط١، بيروت ، منشورات الاميرة للطباعة، ص٤٦٠.

النص القرآني والنص النبوي والحادثة التاريخية في الاستدلال بنظرية النص والوصية كنظرية سياسية وضعها متكلمو الشيعة في بيان من يستحق الحكم، وذهب فيها كلا من مفسري القرآن الكريم وعلماء الحديث عند الشيعة الامامية في التوكيد بها في أحقية الولاية والخلافة للإمام علي عليه السلام [٩٧] [٩٨] [٩٩] *.

ومن بين الآراء والاقوال التي تدل على استدلال علماء الإمامية بحديث يوم الدار، كنص نبوي - قرآني - تاريخي في وجوب نظرية النص والوصية، ما ذكره بعض علمائهم المتقدمين منهم الشيخ المفيد حيث يقول: ((وهذه منقبة جليلة اختص بها امير المؤمنين عليه السلام ولم يشركه فيها أحد من أهل الإسلام، وليس لغيره عدل لها من الفضل... فهو عليه السلام ناصر الإسلام ووزير الداعي اليه من قبل الله (عز وجل) وبضمانه لنبي الهدى صلى الله عليه وآله ...))[١٠٠]، وفي ذات الاتجاه نجد من علماء الامامية المتأخرين من يؤكد على ذلك حيث أكد ابن البطريق الحلي[١٠١] بالقول: ((اعلم أن هذا الفصل قد جمع الأصلين الموجبين لولاء الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وهما الوصية والخلافة، والوصي أحق بمقام الموصي عقلاً وشرعاً، والخليفة أحق بمقام مستخلفه عقلاً وشرعاً وهذا بيان لا يدفع إلا بالعناد لما اجتمعت الرتبتان العليتان الموجبتان لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولاء الأمة بدليل الوحي العزيز والخبر الصحيح بكفاية من رواه بطرق السنة مع اتفاق طرق الشيعة على مثل هذه الموهبة، وهذا هو إجماع كافة أهل الإسلام...)) **[١٠٢]، وكذلك من علماءهم العلامة الحلي[١٠٣] الذي

---

٩٧ القمي، علي بن ابراهيم تفسير القمي، د.ت، ط٢، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص٤٨٢.

٩٨ التقوي، سيد محمد تقي ضياء الفرقان في تفسير القران، د.ت، ط١، طهران، مطبعة كوهر انديشه، ص٥٠٠-٥٠٤.

٩٩ الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القران، د.ت، ط١، قم المقدسة، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ص٣٣٢-٣٣٦.

١٠٠ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي، الارشاد، د.ت، د.ط، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص٤١.

١٠١ الاسدي، يحيى بن الحسن، خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين، المحمودي، ط١، ايران، منشورات مطبعة وزارة الارشاد القومي، ص٩٨.

١٠٢ الاسدي، يحيى بن الحسن، خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين، المحمودي، ط١، ايران، منشورات مطبعة وزارة الارشاد القومي، ص٩٤-٩٨.

١٠٣ الاسدي، الحسن بن يوسف بن المطهر، المستجاد من كتاب الارشاد، محمد البدري، ط١، ايران، مطبعة باسدار، ص٧١-٧٢.

* وقد نقل الطباطبائي عن مجموعة من مفسري العامة أنهم أكدوا ارتباط النص النبوي بالنص القرآني والحادثة التاريخية ليوم الدار ومنهم الحافظ الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل، والثعلبي في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور.

** أورده بعدة طرق لرواية حديث يوم الدار، عن طريق الحافظ أبي نعيم، ومناقب أبي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومن تفسير الثعلبي.

أكد بالقول : ((فمن ذلك أن النبي جمع خاصة أهله وعشيرته في ابتداء الدعوة إلى الإسلام فعرض عليهم الإيمان واستنصرهم على أهل الكفر والعدوان، وضمن لهم على ذلك الحظوة في الدنيا والشرف وثواب الجنان، فلم يجبه احد منهم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فنحله بذلك تحقيق الأخوة والوزارة والوصية والوراثة والخلافة واوجب له بذلك الجنة وذلك في حديث الدار، الذي اجمع على صحته نقاد الأخبار...)) .

ومن بين النصوص النبوية الأخرى التي أخذت طابع التقديس عند مدرسة الإمامية ما عرف لديهم بشهرة كبيرة وواسعة وهو حديث غدير خم أو بتسمية أخرى بيعة غدير خم، وهي الأخرى ذات ترابط بين النص النبوي والنص القرآني والحادثة التاريخية التي تزامنت معه، والآيات القرآنية التي وردت فيها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾المائدة:٣، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾المائدة:٦٧ ولعلماء الشيعة ومتكلميهم رأي يذهبون فيه إلى أن مضمون الآية يلتقي مع النص النبوي والشواهد التاريخية في تأييده، ولما كان المضمون والتاريخ يجتمعان في تأييد هذا الرأي، فأمامنا قضية تاريخية مفصلة جدا لقد استندت أكثر الكتب التي دُوّنت بهذا الشأن – أكثر ما استندت – إلى البعد التفسيري والحديثي والتاريخي وقد اجتمعوا على أثبات أن الآية محل الذكر نزلت في غدير خم، وهو ذات الموضع الذي ترابط مع نص الحديث النبوي، وقد نهض المؤرخون بإثبات الواقعة بالإضافة إلى كتب التفسير والحديث المتعددة[١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨]، والذي تذكره الرواية: أن النبي حين عودته إلى المدينة من مكة بعد حجة الوداع *، صار إلى موقع بالقرب من

١٠٤ ابن حنبل، أحمد فضائل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، السيد، حسن حميد، د.ط، ايران، مطبعة ليلى، ص١٢٩-١٦٣.

١٠٥ البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر جمل من أنساب الاشراف، زكار، سهيل و زركلي، رياض، ط١، بيروت، دار الفكر، ص٣٥٦-٣٥٧.

١٠٦ اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي تاريخ اليعقوبي، المنصور، خليل، ط١، ايران، دار الزهراء، ص٧٦.

١٠٧ الطبرسي، الفضل بن الحسن مجمع البيان في تفسير القران، د.ت، د.ط، بيروت، منشورات مكتبة دار الحياة، ص١٥٢-١٥٣.

١٠٨ الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القران، د.ت، ط١، قم المقدسة، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ص١٩٢-٢٠١.

* كانت حجة الوداع في آخر سنة من حياة النبي ﷺ وقبل شهرين من وفاته، وقد وصل ﷺ إلى غدير خم في ١٩ ذي الحجة، أي قبل شهرين وتسعة أيام من وفاته، إذا كانت الوفاة – حسب الشيعة – في ٢٨/ صفر سنة ١٠هـ أو قبل شهرين وتسع عشر يوما منهما إذا كانت الوفاة – حسب أهل السنة– في ١٢/ ربيع الأول سنة ١٠هـ.

الجحفة *[١٠٩]، يقال له غدير خم، أوقف فيه القافلة وجمع المسلمين ليخطبهم بعد نزول الآية المعنية، وقد أمر بمنبر فعمل له من أحداج الإبل، فعلاه وتحدث معهم، فكان مما قال: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه...))[١١٠].

إنّ الاستدلال التاريخي الذي استدل به علماء وفقهاء مدرسة الشيعة الامامية في الجمع بين نص الحديث النبوي والنص القرآني من زاوية البعد التاريخي للحدث وخلال العودة إلى التاريخ لمعرفة «اليوم» المراد في قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم)، وعندها نجد أن ثمرة العودة إلى التاريخ ليس رواية أو روايتين ولا حتى عشر روايات، بل هناك تواتر على أن الآية نزلت في يوم غدير خم، بعد أن نصّب النبي ﷺ عليّاً عليه السلام خليفة له، وأورد الطباطبائي بعد سرده لعدة طرق لرواية حديث غدير خم بالقول: ((... أن هذه الاحاديث الدالة على نزول الآية في مسألة الولاية وهي تزيد على عشرين حديثاً من طرق أهل السنة والشيعة مرتبطة بما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهي تربو على خمسة عشر حديثاً رواها الفريقان، والجميع مرتبط بحديث الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه، وهو حديث متواتر مروي عن جم غفير من الصحابة، اعترف بتواتره جمع كثير من علماء الفريقين))[١١١]، وهذا تأكيد على توظيف النص النبوي كنص مقدس يحمل طابع الالزام في التوجيه السياسي بضرورة النص والوصية على خلافة علي عليه السلام.

وقد وردت في الكتب التاريخية والفقهية العديد من الآراء والأقوال لعلماء الإمامية تدل على استدلالهم بحديث بيعة غدير خم، في التأكيد على نظرية النص والوصية، بوصفه واحداً من الأحاديث النبوية التي جمعت بين النص القرآني – التاريخي والتي دلت على إمامة علي عليه السلام وخلافته، منا ما ذكره الشيخ المفيد بالقول: ((فكان في حجة الوداع من فضل امير المؤمنين عليه السلام الذي اختص به ... اختصاصه بخلافته والتصريح منه

---

١٠٩ الحموي، ياقوت بن عبد الله البغدادي، معجم البلدان، د.ت، ج٢، بيروت، دار صادر، ص١١١.

١١٠ اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي تاريخ اليعقوبي، المنصور، خليل، ط١، ج٢، ايران، دار الزهراء، ص٧٦.

١١١ الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القران، د.ت، ط١، ج٥، قم المقدسة، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ص١٩٦.

* الجحفة: هي ميقات أهل الشام، فالحاج الآتي عن طريق الشام الواقع في الشمال الغربي من مكة، يصل الجحفة بعد طيّ قليل من الطريق، والجحفة هي ميقات عيّنه النبي للوافدين إلى مكة عن هذا الطريق، وغدير خم منطقة قريبة من الجحفة، وهي بمنزلة مفترق طرق، حيث كان المسلمون يذهبون منها صوب مناطقهم، أهل المدينة إلى المدينة، والآخرون إلى مدنهم

بالدعوة الى اتباعه والنهي عن مخالفته ...))[١١٢]، وفي ذات النهج نجد ابن البطريق الحلي[١١٣] يؤكد القول: ((... وهذا حديثٌ صحيح من رسول الله ﷺ وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله ﷺ نحو مئة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة تفرد علي عليه السلام بهذه الفضيلة ولم يشركه فيها أحد))، وقال في موضع آخر: ((...إن ما أراده بلفظه مولى هو استحقاق الإمامة وولاء الأمة دون ما عداه من سائر الأقسام ما ذكرناه من قول عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة فدل بها على استحقاق الولاية، فمن كان مؤمناً فعلي مولاه ومن ليس بمؤمن فلا حاجة لذكره لخروجه عن دائرة الإسلام فأن علياً عليه السلام لم يكن مولاه لموضع شرط النبي ﷺ وشهادة عمر بذلك، وهذا من أقوى الأدلة على صحة ما ذكرناه))[١١٤]، وكذلك أكد علي بن طاووس[١١٥] على الاستدلال بحديث غدير خم كنص نبوي مقدس يثبت نظرية النص والوصية بالقول: ((أن كل منصف عاقل فاضل من أهل الإسلام بعيد أن يقبل عقله أن محمداً جدك ﷺ يتلو عليهم قرآناً يتضمن ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ المائدة:٣، ثم يدعي مدعٍ أنه ﷺ مات وترك أمته متحيرين في الإمامة وهي من أهم أمور الإسلام والمسلمين، حتى ضرب بعضهم رقاب بعض وكذب بعضهم بعضاً...))، كما أشار العلامة الحلي[١١٦] [١١٧] الى ذلك بقوله: ((وهذا دليل آخر على إمامة علي عليه السلام وقد نقل المسلمون كافة هذا الحديث نقلاً متواتراً لكنهم اختلفوا في دلالته على الإمامة، ووجه الاستدلال به أن لفظة (مولى) تفيد الأولى لان مقدمة الحديث تدل عليه ولأن عرف اللغة يقتضيه...))، وهذه النصوص تثبت تأكيدهم على الاستدلال بالحديث النبوي بوصفه نصاً مقدساً في إثبات نظرية النص والوصية وبناء النظرية السياسية للشيعة الامامية الاثنى عشرية.

أما فيما يتعلق بنظرية الإستخلاف (الخلافة) عند اهل السنة والجماعة، فهي الأخرى قد استندت إلى بعض النصوص النبوية وتوظيفها في بيان نظريتهم السياسية، وكان من أهم تلك النصوص التي اعتمدوها في بناء نظريتهم السياسية هو ما ورد في التأكيد على ان الامرة او الحكم يكون في قريش، ومن ذلك ما رواه البخاري

١١٢ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي، الارشاد، د.ت، د.ط ، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص١٢١.

١١٣ الاسدي، يحيى بن الحسن، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، المحمودي، مالك والبهادري، إبراهيم، د.ط ، ايران، مؤسسة النشر الإسلامي، ص١٠٨.

١١٤ الحلي، ابن البطريق عمدة صحاح الاخبار، ص١١٩.

١١٥ الحسني، علي بن موسى بن طاوس كشف المحجة لثمرة المهجة، الحسون، محمد، ط٢، ايران، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، ص٨٧.

١١٦ الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي كشف المراد، الأملي، حسن زاده، ط١١، ايران، مؤسسة النشر الإسلامي، ص٤٩٩-٥٠٠.

١١٧ الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي مناهج اليقين، الجعفري، يعقوب، د.ط، ايران، مطبعة دار الأسوة، ص٤٧٥-٤٧٦.

في صحيحه: ((... قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث: أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش، أن عبد الله بن عمرو يحدث: أنه سيكون ملكٌ من قحطان، فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه بلغني رجلاً منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ وأولئك جهالكم، فأياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين))[١١٨]، وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب: ((قال رسول الله ﷺ : لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان))[١١٩]، وهنالك رواية أخرى للحديث رواه أنس بن مالك حيث قال: ((إن رسول الله ﷺقام على باب بيت ونحن فيه، فقال: الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقا ولكم عليهم حقا مثل ذلك، ما إن استرحموا فرحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))[١٢٠]، وفي حديث آخر عن أبي هريرة قال: ((قال رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم))[١٢١]، كما ورد بألفاظ أخرى تحمل ذات المعنى منها : الامراء من قريش[١٢٢]، الملك في قريش[١٢٣]، ونحن هنا لن نقف إمام سند الرواة ضعيفهم من ثقتهم، لإن الحديث في ذلك يطول، لكن نظرة بسيطة فاحصة على متن الحديث الذي يضطرب اضطراباً شديداً، ما يؤكد التوظيف السياسي لبناء نظرية سياسية، وهنا نقع أمام أول إشكالية وهي تعدد الالفاظ التي وردت في هذا الحديث والذي يمكن ان نتلمس التوجه السياسي من أول حديث روي عن معاوية ومدار الحديث واضح جداً اذ المقصد كان سياسياً بشكل بحت، وأنّ معاوية وظف هذا الحديث للتصدي لبعض الأفكار التي ترد من معارضيه وتسعى إلى إخراج الملك من بني أمية، فأستدل بهذا الحديث؛ ليؤكد الحكم في أسرته كونها من أسر قريش المعروفة، وليجعل ذلك شرعية سياسية لحكمهم.

---

١١٨ البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي كتاب الاحكام، باب الامراء من قريش ، حديث رقم٧١٣٩، ص١٢٦٠.

١١٩ البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي كتاب الاحكام، باب الامراء من قريش، حديث رقم٧١٤٠، ص١٢٦٠.

١٢٠ الشيباني، احمد بن محمد بن حنبل، المسند، الأرناؤوط، شعيب، وأخرون، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص١٢٩.

١٢١ النيسابوري، مسلم كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش شرح النووي، ج٧، رقم٤٦٢٠، ص٢٨٦٦.

١٢٢ النيسابوري، ابي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم المستدرك على الصحيحين، مصطفى عبد القادر عطا، د.ط، ج٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٥٠١.

١٢٣ الطبراني، ابي القاسم سليمان بن احمد المعجم الكبير، حمدي عبد المجيد السلفي، د.ط، ج١٣، القاهرة، منشورات مكتبة ابن تيمية، ص١٠١.

وهنا نجد علماء مدرسة أهل السنة والجماعة ومتكلميهم يعتقدون في درجات الخلفاء الاربعة الراشدين في الفضل، كدرجاتهم في الترتيب بدءاً من ابي بكر الصديق وصولاً إلى علي بن ابي طالب عليه السلام حيث يعتبرون الخلافة شورى بين المسلمين لاختيار الأصلح مع التمسك بآية الطاعة*، في نصب الخليفة كواجب على عاتق الامة[١٢٤]، وبنوا نظريتهم السياسية خلال المزج بين النص النبوي الذي وظف لبناء هذه النظرية مع النص التاريخي الذي أكدوا به هذا النص ومفاده إنه بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وآله سنة (١١هـ/ ٦٣٢) حدثت بيعة السقيفة[١٢٥ ١٢٦ ١٢٧] التي تمكن فيها أبو بكر من الوصول للخلافة وتولي الحكم[١٢٨]، وخلال السجال الذي دار بينهم وبين الأنصار الذين أرادوا أيضا تولي الحكم[١٢٩ ١٣٠]، استند أبو بكر إلى العرف القبلي كشرعية سياسية لبلوغ الحكم، كما جاء في رواية ابن هشام لقول أبي بكر: ((...لن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش...))[١٣١] ورواية ابن قتيبة الدينوري: ((...ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن مع ذلك أوسط العرب انساباً ليست لقبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة...))[١٣٢]، وفي رواية اليعقوبي: ((...ولكن قريش أولى بمحمد منكم))[١٣٣]، أو كما جاء في قول عمر بن الخطاب: ((...فمن ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل...))[١٣٤].

وخلاصة ما مر بنا نصل الى نتيجة وهي أنه على الرغم من اختلاف النصوص إلا أنّ المعنى واحداً وهو: أن أحقية الحكم وخلافة محمد صلى الله عليه وآله لقريش لأنهم عشيرته وبحكم ما لقريش من مكانة بين القبائل العربية، وعمد مؤرخو الأحكام السلطانية في القرون اللاحقة على توثيق هذه الشرعية السياسية فبنو عليها نظرية الحكم على

---

١٢٤ سليمان، حسن سيد اثر القران الكريم على الفكر السياسي الإسلامي، السودان، جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم، ص٢٥٦.

١٢٥ الهلالي، سليم بن قيس كتاب سليم الهلالي، الأنصاري، محمد باقر، ط٢، بيروت، دار الحوراء، ص١٣٨-١٦٠.

١٢٦ المصري، عبد الملك بن هشام السيرة النبوية، ناجي ابراهيم سويد، د.ط، ج٤، بيروت، شركة الأرقم، ص٨٤٢-٨٤٥.

١٢٧ اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي تاريخ اليعقوبي، المنصور، خليل، ط١، ج٢، ايران، دار الزهراء، ص٨٣-٨٦.

١٢٨ اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي تاريخ اليعقوبي، المنصور، خليل، ط١، ج٢، ايران، دار الزهراء، ص٨٣.

١٢٩ المصري، عبد الملك بن هشام السيرة النبوية، ناجي ابراهيم سويد، د.ط، ج٤، بيروت، شركة الأرقم، ص٨٤٣.

١٣٠ الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الإمامة والسياسة، شيري، علي ط١، ج١، بيروت، دار الأضواء، ص٢٢.

١٣١ المصري، عبد الملك بن هشام السيرة النبوية، ناجي ابراهيم سويد، د.ط، ج٤، بيروت، شركة الأرقم، ص٨٤٤.

١٣٢ الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الأمامة والسياسة، شيري، علي ط١، ج١، بيروت، دار الأضواء، ص٢٣.

١٣٣ اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي تاريخ اليعقوبي، المنصور، خليل، ط١، ج٢، ايران، دار الزهراء، ص٨٣.

١٣٤ الطبرسي، احمد بن علي بن ابي طالب الاحتجاج، د.ت، ط١، بيروت، دار الدين القيم، ص٧٢.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، سورة النساء، آية ٥٩.

وفق ما يسمى بـــ(الاختيار) وجعلوا من شرط النسب القرشي شرطاً أساسياً لتولي منصب الخلافة والحكم[١٣٥][١٣٦]، وهذه الشرعية السياسية تناقض مبدأ النص أو الوصية؛ لأنه يشكل خطراً كبيراً على مصالحهم السياسية، فلما لم يجد الجيل الأول من الرافضين للنص نظرية خاصة في مضمار الإمامة احتجوا بقانون الوراثة القبلي[١٣٧].

وعمد علماء وفقهاء مدرسة أهل السنة المتأخرين إلى الاستدلال بنصوص الحديث النبوي المذكور آنفاً وكذا الروايات التاريخية وعملوا على الجمع بين النصوص النبوية والتاريخية في التأكيد على نظرية الأستخلاف، ومن ذلك ما ذكره-الماوردي، حيث قال: ((الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب الإجماع...))[١٣٨]، وقال النووي: ((هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة، فكذلك بعدهم ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم، فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين، فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة. قال القاضي: اشتراط كونه قرشيا هو مذهب العلماء كافة))[١٣٩]، وقال سعد الدين التفتازاني: ((هي رياسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ))[١٤٠]، وقال ابن خلدون:((ثم إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام...))[١٤١].

لقد تضافرت الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تنهى عن التعصب والحمية لعرق أو لنسب واستشكلت على بعض الناس الأحاديث الواردة بشأن جعل الإمامة في قريش، وقالوا: إن هذا نوع من التعصب قد خالف القرآن الكريم ومقاييس الفطرة والأفضلية الذاتية التي ترشح صاحبها لريادة المنازل وعلو الدرجات دون تدخل من أحد، فقالوا: إن حديث «الأئمة من قريش» يتناقض مع قول الله (عز وجل): ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات:١٣، وإن

١٣٥ الماوردي، علي بن محمد الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د.ت، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٦-١١.

١٣٦ ابن الفراء، محمد بن الحسين الأحكام السلطانية، د.ت، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢٠.

١٣٧ الجابري، عبد الستار المنهج السياسي لأهل البيت، د.ت، كربلاء المقدسة، دار الكفيل، ص٢٤-٢٥.

١٣٨ ابن الفراء، محمد بن الحسين الأحكام السلطانية، د.ت، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٥.

١٣٩ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، معوض علي والموجود عادل عبد، ط٢، ج٧، مكة المكرمة، منشورات مكتبة الباز، ص٢٨٦٨-٢٨٦٩.

١٤٠ عمر، سعود بن شرح المقاصد، عميرة، عبد الرحمن، ط٢، ج٥، بيروت، عالم الكتب، ص٢٣٢.

١٤١ بن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن مقدمة ابن خلدون، الدرويش، عبد الله محمد، ط١، ج١، دمشق، دار يعرب، ص٣٦٦-٣٦٨.

أحاديث قصر الإمامة على القرشيين فيها نوع من التعصب الذي يأباه الإسلام وينهى عنه، متسائلين: كيف لا يربط الإسلام الإمامة بالجدارة والأهلية دون النسب والعرق؟!، فالإسلام لا يسود طائفة من الناس على من عداهم من أفراد الأمة، وإذا كان الإمام من قريش، فليس معنى ذلك أن تتبوأ قريش مكانة عالية دونها مكانة سائر المسلمين؛ لأن الإسلام - كما قلنا - لم يفرق بين قرشي وغير قرشي، وحاكم ومحكوم[١٤٢]، ولعل من المفارقات التي لم ينتبه إليها مؤرخو الأحكام السلطانية إذ على الرغم من أنهم اعتمدوا على نظرية الاختيار ودعموها بشرط النسب لتبرير حكم السلاطين ولتفنيد نظرية النص والوصية، فان النظرية الأولى قد ظهرت مع بداية حكم أبي بكر أي بحدود سنة (١١هـ/ ٦٣٢م) في حين إن نظرية النص والوصية قد ظهرت منذ بداية البعثة النبوية في السنة الأولى للبعثة بحدود سنة (٦٠٩م)* [١٤٣] [١٤٤]، لأن أقدم النصوص في إثبات الوصية هو حديث يوم الدار المذكور آنفاً، والذي يرجح انه حدث في السنة الثالثة للبعثة [١٤٥] [١٤٦]، والتي تقارب من سنة (٦١٢م) مما يعني إن نظرية النص والوصية سبقت نظرية الاختيار بحدود (٢٠) سنة، فإذا قلنا بصحة النظريتين جدلاً فلماذا لا نأخذ بالنظرية الأقدم تاريخياً، ويضاف إلى ذلك إن نظرية النص أو الوصية صدرت عن النبي محمد (ﷺ)؛ مما يؤكد إنها صدرت عن الله تعالى لحكم قوله تعالى :﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم:٣-٤، ولدلالة النصوص القرآنية عليها، في حين أن نظرية الاختيار قد صدرت عن أبي بكر وكان لها سند وضعي ناجم عن تشريع الاجماع الذي وضعه كتاب الاحكام السلطانية في مدة متأخرة كثيراً عن تاريخها الحقيقي، الذي نجم عن الصراع السياسي على الحكم وادارة الدولة الاسلامية.

---

١٤٢ عثمان، د.محمد رأفت رياسة الدولة في الفقة الإسلامي، د.ت، ط٢، الإمارات: دار القلم، ص٢٠٩-٢١٠.

١٤٣ ابن إسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار سيرة ابن إسحاق المسمى السير والمغازي، زكار، سهيل، بيروت، ص٦٦.

١٤٤ ابن هشام، عبد الملك السيرة النبوية، ناجي، د.ط، ج١، ص٩٤.

١٤٥ بن إسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار سيرة ابن إسحاق المسمى السير والمغازي، زكار، سهيل، بيروت، ص١٤٥.

١٤٦ ابن هشام، عبد الملك السيرة النبوية، ناجي، د.ط، ج١، ص١٤٧.

* ولد النبي ﷺ بحدود عام (٥٧٠م) والمعروف بعام الفيل، واذا أضفنا أربعين عام وهي السن التي بعث فيها نجدها تقارب التاريخ المذكور.

المبحث الثالث. أثر السنة النبوية في تكوين آليات اختيار الحاكم:

إنّ مراحل التطور والتغير التي مر بها الفكر السياسي الإسلامي عبر الحقب التاريخية المختلفة ، أنتجت مجموعة من آليات لاختيار الحاكم، وهي نتاج لتطور النظريات السياسية الإسلامية، التي تعرضنا لبعضها في الاوراق السابقة ونظراً لتعدد هذه النظريات ولأننا نهجنا الاختصار وعدم الاطالة في هذه الدراسة، فسنتطرق إلى الآليات التي أفرزتها نظريتي النص والوصية لمدرسة الشيعة الإمامية، ونظرية الأستخلاف (الخلافة) لمدرسة أهل السنة والجماعة، واللاتان نتج عنهما : الأولى اعتمدت آلية التعيين وحق الله تعالى في الاختيار وقالت بوجوب العصمة للشخص المعين كونه مختاراً وفق تحديد إلهي، وأما الثانية فقد اتخذت من الانتخاب (الشورى) آلية للاختيار، وقالت بحق الأمة في اختيار الحاكم وتعيينه، ووضعت جملة من الشروط لتحديد شخص الحاكم، وكلاهما على وفق تطورات الزمان والمكان تعرضتا إلى جملة من الانتقادات سنعرض اليها .

إنّ نظرية النص والوصية التي قال بها الشيعة الإمامية، نتج عنها آلية محددة لاختيار الحاكم وهي (التعيين)، إذ يتضمن هذا الخيار عملية تعيين الحاكم الفعلي الذي يتولى هو اختيار وتعيين باقي السلطات[١٤٧]،ولا يوجد خلاف بين المسلمين قديماً وحديثاً حول التعيين الإلهي للأنبياء والرسل، وان كان هناك خلاف حول وظائف الرسالة أو النبوة، ومدى اتساعها لإدارة الدولة إلا أن القائلين بشمول السياسة لوظائف الرسالة يجعلون من التعيين الإلهي طريقاً أوحد انطلاقاً من ربوبية الله تعالى وهيمنته المطلقة على الوجود[١٤٨]، بدلالة ما ورد في سورتي الحمد والاخلاص * **، وهذه الالية لاختيار الحاكم على وفق التعيين الذي اقرته مدرسة الشيعة الامامية يقسم على نوعين هما: التعيين الإلهي (المباشر أو الشخصي)، والتعيين الوصفي (النوعي) وهنا استدل علماء هذه المدرسة وفقهاؤها بالعديد من نصوص السنة النبوية في دعم بناء نظريتهم السياسية وآليتها في اختيار الحاكم، ففي الجانب الأول أي التأكيد على التعيين الإلهي المباشر لشخص النبي محمد ﷺوأئمة أهل البيت عليهم السلام والذين حصر عددهم بأثني عشر إماماً معصوماً، ومما جاء في هذا الباب ما رواه الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((... أنزل الله عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ المائدة:٣، وكان كمال الدين بولاية علي بن ابي طالب عليه السلام فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: أمتي حديثو عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم

١٤٧ الخزعلي، أمل هندي وأخر الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، د.ت، بيروت، منشورات دار السنهوري، ص١٠١-١٠٣.

١٤٨ الخزعلي، أمل هندي وأخر الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، د.ت، بيروت، منشورات دار السنهوري، ص١٠٢.

* سورة الحمد، آية ١-٧.

** سورة الاخلاص، آية ١-٤.

بهذا في ابن عمي يقول قائل، فقلت في نفسي من غير ان ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله عز وجل وأوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني فنزلت: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ المائدة:٦٧، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله ثم دعاه فأجابه، فأوشك أن أدعى فأجيب وأنا مسئول وأنتم مسئولون فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين: فقال: اللهم اشهد ثلاث مرات، ثم قال: يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدي فليبلغ الشاهد منكم الغائب))[١٤٩]، فهذا تعيين إلهي مباشر وشخصي في نظرهم بوجوب أن تكون الولاية والامامة من بعد الرسول محمد ﷺ في الإمام علي عليه السلام، وهنالك العديد من نصوص الحديث النبوي الأخرى التي تحمل ذات المعنى في النص المباشر روتها الكتب الفقهية والتاريخية للشيعة الإمامية([١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤]).

ويرى علماء الشيعة الإمامية وفقهاؤهم أن باقي الائمة الاثني عشر منصوص عليهم بالنص المباشر وأن لهم بذلك الحق في الولاية والإمامة والخلافة من بعد الرسول محمد ﷺ والإمام علي عليه السلام، واستندوا في ذلك أيضا إلى مجموعة من النصوص النبوية التي تؤيد ذلك وتدعمه، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما رواه الصدوق في حديث الإمام الحسن بن علي عليه السلام قوله لاحد أصحابه: ((... يا أبا سعيد ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام، قلت بلى، قال: ألست الذي قال رسول الله ﷺ لي ولأخي الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت بلى، قال: فأنا أذن إمام لو قمت وأنا إمام إذاً لو قعدت...))[١٥٥] ، فهنا قد أستشهد الإمام الحسن عليه السلام بنص الحديث النبوي الذي يؤكد إمامته وولايته وخلافته، وعدّ فقهاء الإمامية هذا النص مؤكداً للنص المباشر الشخصي على الإمام الحسن عليه السلام، وكذلك استشهدوا بالعديد من النصوص الأخرى التي تذهب في تأكيد النص المباشر على باقي الائمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام لم نذكرها كراهية الإطالة

---

١٤٩ الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، د.ت، د.ط، ج١، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص١٦٧.

١٥٠ الكليني، أصول الكافي، ج١، ص١٦٥-١٩٢.

١٥١ الشيخ الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي علل الشرائع، تقديم وتعليق:الاعلمي، حسين، ط٢، ج١، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص١٣٥-١٤٠.

١٥٢ الشيخ المفيد، الارشاد، ص٢٩-١٣٠.

١٥٣ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي الاختصاص، غفاري، علي أكبر، ط١، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ص٣٢-٣٣.

١٥٤ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٥٢-٦٦.

١٥٥ علل الشرائع، ج١، ص٢٠٧.

ويمكن للقارئ الاطلاع عليها([١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠]).

ولكن نتيجة للتطور الزماني والمكاني تعرضت نظرية النص والوصية التي نادت بها مدرسة الشيعة الإمامية الاثني عشرية وآليتها التي تقوم على التعيين المباشر والشخصي إلى نوع من الاشكال المعرفي في آليتها لاختيار الحاكم، وتمثل هذا الاشكال بانقطاع الوحي فإن خيار التعيين الإلهي المباشر والشخصي يواجه مشكلة معرفية تتمثل في انقطاع واسطة الاخبار والتبليغ الإلهي التي عرفت بختم النبوة، لكن إن انقطاع الوحي لا يعني توقف نظرية النص (التعيين) إذ ذهبت هذه المدرسة إن الإمداد الإلهي للرسالة نص على مجموعة من الأشخاص يتولون الإمامة الدينية والسياسية، وهو ما يعرف بالنص على الإمامة[١٦١]، وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن بعدهم فقهاء ومتكلمي مدرسة الشيعة يرون إن السلطتين السياسية والدينية لا يمكن أن تتمثل إلا في الشخص المنزه من الخطأ والزلل وهو الإمام المعصوم* [١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥]، ابتداءً من النبي محمد صلى الله عليه وآله والأئمة الاثني عشر عليهم السلام من بعده انتهاءً بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف [١٦٦].

وكما سبق القول فإن التطور الزماني والمكاني يلعب دوراً مهما في تطور النظريات السياسية، فمثلاً إن نظرية النص والوصية وآلية التعيين التي اعتمدتها في اختيار الحاكم، قد وقعت في إشكالية معرفية أخرى تمثلت في الفراغ الحاصل في القيادة الدينية والسياسية في نهاية من تم تعيينهم كأئمة للأمة الإسلامية، وذلك بسبب غيبة الإمام الثاني عشر، ويشير أحد الباحثين إلى إنه تم الخروج من هذه الإشكالية بالقول: ((...إن نواب الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في غيبته الصغرى وهم السفراء الأربعة، ويليهم فقهاء الإمامية وهم العلماء

١٥٦ الكليني، أصول الكافي، ج١، ص١٦٥-١٩٢.

١٥٧ الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص١٣.

١٥٨ الشيخ المفيد، الارشاد، ص٢٩.

١٥٩ الشيخ المفيد، الاختصاص، ص٣٢ .

١٦٠ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٦٦-٦٩.

١٦١ الخزعلي، أمل هندي الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، ص١٠٢.

١٦٢ السبحاني، جعفر أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، د.ت، د.ط قم المقدسة، مؤسسة الإمام الصادق، ص٧٩-٩٨.

١٦٣ التميمي، حيدر قاسم مطر العلويين في الشرق وأثرهم الفكري والحضاري، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ص٤٦-٥١.

١٦٤ الوائلي، أحمد هوية التشيع، د.ت، ط٢، بيروت، دار الصفوة، ص١٤٥-١٥٢.

١٦٥ نصر الله، حسن عباس سيرة أهل البيت عليهم السلام تجليات إنسانية، د.ت، ط١، بيروت، دار القارئ، ص٢٥-٢٩.

١٦٦ العلامة الحلي، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، عبد الرحيم مبارك ، ايران، مطبعة الهادي، ص٣١-٣٢.

* حول مفهوم العصمة وشروطها وأقسامها، وأهميتها في تولي السلطتين السياسية والدينية وفق منظور أئمة أهل البيت عليهم السلام

المجتهدون الأمناء على شرع الله المبين الذين لا يحكمون إلا بما يريد الله تعالى)) [١٦٧]، هم من يتولى القيادة الدينية والسياسية للامة، وكان دليلهم في ذلك ما ورد من قول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((...فأما من كان من الفقهاء صائناً نفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه...)) [١٦٨] [١٦٩].

اما نظرية الاستخلاف او الخلافة لمدرسة أهل السنة والجماعة والتي اتخذت من الانتخاب (الشورى) آلية للاختيار، وقالت بحق الأمة في اختيار الحاكم وتعيينه، وأكدت على حصر اختيار الحاكم بالشورى وأضافت إليها البيعة فرعاً مترتباً على الشورى، لأن البيعة هو إعلان الموافقة على الاختيار والالتزام بخط الحاكم[١٧٠]، وقد استندت في هذا الى مجموعة من النصوص النبوية التي تحظ على الشورة بين المسلمين، منها قول الرسول صلى الله عليه وآله: ((إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاؤكم، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها))[١٧١]، وعن عبد الله بن عباس قال: لما نزلت (وشاورهم في الأمر) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن أستشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غياً))[١٧٢] ، وغيرها الكثير من النصوص النبوية التي تحث على المشورة بين المسلمين.

وبناء على ذلك استمدت هذه المدرسة مقبوليتها من مؤتمر السقيفة الذي شهد انتخاب ابي بكر الصديق للحكم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله من قبل مجموعة من الأشخاص الذين تشاوروا فيما بينهم وحضروا هذا المؤتمر[١٧٣] [١٧٤] [١٧٥] [١٧٦]، وقد جاء عن الإمام أحمد بن حنبل ما يؤكد هذا المعنى حين اجتمع الأنصار لاختيار

---

١٦٧ الصائغ، مجيد الشيعة رواد العدل والسلام، د.ت، ط٣، بيروت، منشورات مؤسسة البلاغ، ص٣٧٩.

١٦٨ الحسن العسكري عليه السلام، بن علي بن محمد العلوي الهاشمي التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ط١، قم المقدسة، مطبعة مهر، ص٣٠٠.

١٦٩ الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى بن محمود التفسير الصافي، د.ت، ط٢، ج١، (قم المقدسة: مطبعة مؤسسة الإمام المهدي، ص١٤٨.

١٧٠ الخزعلي ، أمل هندي الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، ص٨٩.

١٧١ مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص٣٢٨.

١٧٢ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال الدر المنثور في التفسير بالمأثور، د.ت، ط١، ج٢، بيروت، دار الفكر، ص٩٠.

١٧٣ في مجرياتها وأحداثها الهلالي، كتاب سليم بن قيس، ص١٣٨-١٦٠.

١٧٤ في مجرياتها وأحداثها ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٨٤٢-٨٤٥.

١٧٥ في مجرياتها وأحداثها الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢١-٣٥.

١٧٦ في مجرياتها وأحداثها اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٨٣-٨٦.

خليفة رسول الله ﷺ قد أستدل أبو بكر بنص الحديث النبوي الذي يؤكد إن قريش هم الاحق في تولي الخلافة والحكم في الحوار الذي دار بينه وبين سعد بن عبادة الانصاري قال: ((... ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم قال: فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء، وأنتم الأمراء))[١٧٧]، فآلية اختيار الحاكم تمت وفق هذا المنظور جاءت بالاستناد الى مبدأ أحقية القرشي في الحكم دون غيره من المسلمين، مما مهد لاختيار ابي بكر دون من رشح من الأنصار وغيرهم.

ثم قبيل وفاة ابي بكر عهد بالحكم من بعده لعمر بن الخطاب * [١٧٨]، وهذا تغير آخر في آلية اختيار الحاكم، عما جاءت عليه الشرعية السياسية السابقة، وقد أشار الأخير إلى ذلك في خطبته السياسية التي قالها بعد أن تمت بيعته فقال: ((...ما أنا إلا رجل منكم ولولا أني كرهت إن أرد أمر خليفة رسول الله لما تقلدت أمركم ...)) [١٧٩]، وقد انبثق عن هذه الشرعية السياسية نظرية أخرى اعتمدت كأساس من قبل مؤلفي الأحكام السلطانية للوصول إلى الخلافة والحكم وهي نظرية العهد [١٨٠] [١٨١]، قال الماوردي: ((وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحته لأمرين عمل المسلمون بهما ولم يتناكروهما، احدهما: إن أبا بكر عهد بها إلى عمر فاثبت المسلمون إمامته بعهده...))[١٨٢]، وهذه النظرية رغم إنها وظفت لاختيار شخص الحاكم بطريقة مشابهة لما كانت عليه نظرية النص والوصية، التي رفضوها سابقاً، بحجة إن رسول الله ﷺ لم يوص لاحد من بعده بالحكم، الا ان فقهاء السنة وعلماؤهم عملوا على تعديل ذلك واجازوا للخليفة ما لم يجز لرسول الله ﷺ وهو أمرٌ مرفوض جملة وتفصيلاً، لإنه جعل من رسول الله ﷺ في مقام الإهمال وتركه للامة دون قائد يرعاها من بعده.

---

١٧٧ المسند، ج١، ص١٦٤.

١٧٨ تاريخ، ج٢، ص٩٣.

١٧٩ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٩٥.

١٨٠ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١١-١٨.

١٨١ ابن الفراء الحنبلي، الأحكام السلطانية، ص٢٣-٢٧.

١٨٢ الأحكام السلطانية، ص١١.

* ذكر اليعقوبي: فلما اشتدت به العلة عهد إلى عمر بن الخطاب فأمر عثمان إن يكتب عهده وكتب: هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله إلى المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم فإني احمد إليكم الله أما بعد فإني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا واني ما ألوتكم نصحاً والسلام.

ثم تطورت آلية اختيار الحاكم وفق نظرية مدرسة الخلافة بفعل تطورات الزمان والمكان التي استجدت مما تطلب وضع شرعية سياسية جديدة، فقبيل وفاة عمر بن الخطاب عمل على سن آلية جديدة ومهد بها لمن يتولى الحكم والخلافة وفق ما يسمى بالشورى * [١٨٣] [١٨٤] [١٨٥] ، وهي الأخرى أستند اليها مؤرخي الاحكام السلطانية في التأكيد على استخدام الشورى والانتخاب الذي تم فيها كآلية لاختيار الحاكم، ووضعوا تسمية لمن تشاوروا فيها تحت مسمى (أهل الحل والعقد) قال الماوردي: ((والإمامة تنعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل العقد والحل، والثاني بعهد من الإمام من قبل، فأما انعقادها باختيار أهل الحل والعقد فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى...))[١٨٦]، لكن هذه الآلية واجهت مجموعة من المشاكل منها حدوث خلافاً كبيراً بين اقطاب مدرسة الخلافة حول الزامية الشورى للحاكم بعد اختياره، في حين ان الإجماع منعقد على اختيار اهل الحل والعقد من طريق المشاورة لانتخاب الحاكم ويكون ملزماً للأمة، وهذا مهد لدكتاتورية الحاكم بل أن هنالك تيار كبير من اتباع هذه المدرسة يرفض محاسبته الحاكم بدعوى أن ذلك ضمن مفهوم الفتنة مما حرم الأمة من حقها في محاسبته وعزله عند انحرافه، أو على الأقل ممارسة حقها في النقد والتوجيه والإصلاح[١٨٧]، كذلك وجود خلاف فكري حول وجود أهل الحل والعقد ومن هم؟ ومدى نزاهة هؤلاء على فرض وجودهم، طالما أن اغلبهم من اصحاب النفوذ والمنزلة القريبة من الحاكم، بل أن أغلب هؤلاء من رجال الدين أو مفكرين يخضعون للسلطة الزمنية، والذين أصطلح على تسميتهم بوعاظ السلاطين[١٨٨] [١٨٩] ، كذلك أن هذه الآلية تواجه في الوقت الحالي مجموعة من المشكلات في آلية تنفيذها منها مسألة تمثيل الشعب غير المتجانس دينياً ومذهبياً، وكذلك أن الشورى تمنع التداول السلمي للسلطة وذلك لإنها لا

١٨٣ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١١١.

١٨٤ الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٥-٢٦.

١٨٥ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٢٧-٢٤١.

١٨٦ الإحكام السلطانية، ص٧.

١٨٧ الخزعلي، أمل هندي الفكر السياسي الإسلامي، ص٩٠-٩١.

١٨٨ المصدر نفسه، ص٩٢.

١٨٩ المصدر نفسه، ص٩٢.

* اختار ستة من الصحابة : علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، عبد الرحمن بن عوف، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، واستعمل زيد بن سهل الأنصاري أن يمنع عنهم الناس وقال : إن رضي أربعة وخالف اثنان فاضربوا عنق الاثنان وان رضي ثلاثة وخالف ثلاثة فاضربوا عنق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف، وان جازت الثلاثة أيام ولم يتراضوا بأحد فاضربوا أعناقهم جميعاً.

تقيد الحاكم بمدة زمنية، فإذا ما جار في حكمه، ووجب على الأمة الخروج عليه عملاً بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيؤدي ذلك للثورة والعصيان[١٩٠ ١٩١] .

ولعلنا في الختام وضعنا مقارنة بسيطة بين النظريتين والاليات التي اعتمدتها في اختيار الحاكم، نجد أن الاختيار الرباني ينطلق من المعرفة المطلقة بالمختار من ناحية، وقدرات المختار على تحقيق الوظائف المكلف بها من ناحية أخرى، أما المختار من الأمة أو المتصدي للقيادة فلا تتوافر فيه صفة العصمة، كما أن ترك الاختيار إلى الأمة قد تقع في خطأ التشخيص مما يفقدها عصمة الاختيار، ونقطة أخيرة وهي أنه لا يمكن عدّ ممارسة القائد المختار من الأمة كأسوة حسنة يجب الاقتداء بها كما هو الحال في الاختيار الإلهي (النص)، لانتفاء شرط العصمة (عدم الخطأ) في التقدير أو التخطيط أو التطبيق، وبخاصة عند العودة إلى الكثير من السوابق التاريخية لبعض النماذج من الحكام في الدولة الاسلامية [١٩٢ ١٩٣] .

---

١٩٠ المصدر نفسه، ص٩٣-٩٤.

١٩١ المصدر نفسه، ص٩٣-٩٤.

١٩٢ المصدر نفسه، ص١٠٤- ١٠٥.

١٩٣ المصدر نفسه، ص١٠٤- ١٠٥.

الخاتمة

إن أبرز ما توصل اليه الباحث من آراء واستنتاجات في هذه الدراسة يمكن إجمالها بما يأتي:

القوة القدسية لغويا في التراث العربي هي القوة التي تحمل جانب التقديس والطهارة، وإن من يتصف بالمقدس فهو يحمل صفات التنزيه، والطهارة، والتعظيم، والبركة، والحرمة، وعند الرومان فتعني كلمة المقدس (Sacer) الشخص او الشيء الذي يستحيل لمسه دون أن يُرجِّس أو يُرجَّس.

وأما في الاصطلاح فقد عرفت القوة القدسية بأنها: كل موضوع له احترام ديني من قبل جماعة من المؤمنين وللمقدس معنى أخلاقياً شديد التداول، إذ نتحدث عن الخاصية المقدسة للشخص الإنساني، وبهذا المعنى يرتبط المقدس بالقيمة المطلقة المحددة للواقع والمقدس أيضاً له علاقة بالدين والعبادة وهذا ما يجعله موضوعاً للاحترام والتبجيل، ويمثل الدنيوي نقيض المقدس، وهو المجال الخالص للإنسان خارج المجال الإلهي.

السنة النبوية فقد ورد في اشتقاقها اللغوي ان السنة من سن وهما أصل واحد مطرد وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة، ومما أشتق منه السنة وتعني السيرة، وسنة الله أحكامه وأمره ونهيه، وسنة رسول الله ﷺ سيرته، والسنة هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة وقيل السنة هي الطريقة المحمودة المستقيمة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق، والسنة مفرد وجمعها سنن.

واختلف في تعريف السنة اصطلاحاً بين علماء الأصول والحديث والفقهاء وبالمجمل فإن تعريفها الاصطلاحي هو: المنهج النبوي العام النظري والعملي الذي جاء به – لشرح شريعة الله تعالى لتكون دستوراً للحياة.

المقدس في التراث الفكري الغربي يختلف عن مفهومه ومعناه عنه في التراث الإسلامي، لكن مع وجود أوجه للتشابه وأخرى للاختلاف؛ وهذا يعود إلى المرتكزات الثقافية والفكرية لكلا الثقافتين الغربية والإسلامية والمقدس في التراث الغربي إذ إنه حمل معاني عديدة: الخير الأسمى او الخير الأعظم، الفضيلة، الإلهي، القوة، والإجلال.

ويتميز المقدس في التراث الإسلامي بتعددية الدلالة وتشعب إحالاته، فقد يرتبط المقدس بالمؤمن في صيغة التقديس ليدل على الصلاة، أو بالمؤمن في صورة الأنبياء، أو قد يطلق على المكان في صيغة البيت المقدس كالمسجد الحرام، وأيضا في صيغة الزمان كما في الأشهر الحرم.

أثرت السنة النبوية بشكل بالغ الأهمية في تأسيس للنظرية السياسية الإسلامية (Islamic Political Theory) ببوصفها جزء من دراسة الفكر السياسي الإسلامي، وذلك بقيام مختلف المذاهب والفرق الإسلامية بالاعتماد على توظيف بعض نصوص السنة النبوية وتوفيقها مع النصوص التاريخية والقرآنية لإضفاء صفة

القداسة على نظريتها السياسية، وبما يشرع لتأسيس شرعية سياسية خاصة بها، وهذا كله جاء نتيجة للصراع والتنافس على السلطة منذ النشأة الأولى للدولة الإسلامية.

وتميزت السنة النبوية بارتباطها ذلك الارتباط الوثيق الصلة بنظام الامامة والخلافة؛ وذلك يعود لطبيعة قيادة الرسول محمد ﷺ السياسية والدينية كونه زعيم سياسي ورجل دين، مما أنعكس انعكاساً كبيراً على محاولات جمهور الفقهاء والمحدثين وعلماء المذاهب الإسلامية في توظيف نصوص السنة النبوية وتكييفها بما يصل الى مرادهم من جعل الزعامة السياسية والدينية لهم دون غيرهم.

من النظريات السياسية الإسلامية نظرية النص والوصية التي اعتمدتها مدرسة الشيعة الاثنى عشرية، والتي اعتمدت على العديد من النصوص النبوية، ووظفتها كنص مقدس يحتم شرعيتها السياسية، وكذلك نظرية الأستخلاف او الخلافة التي نادت بها مدرسة أهل السنة والجماعة، والتي ساقت هي الأخرى مجموعة من النصوص النبوية وقدمتها كدليل على نظريتها السياسية، وتعد هاتان المدرستان من أبرز المدارس في الفكر السياسي الاسلامي التي ما زالت مستمرة الى يومنا هذا.

إن النتاج الطبيعي لوجود نظريات سياسية إسلامية يحتم وضع آليات للحكم تتفق مع توجهات تلك النظريات وأهدافها، وهنا ساقت كلٌ من مدرسة الامامية ونظريتها في لنص والوصية على آلية التعيين وحق الله تعالى في الاختيار، وقالت بوجوب العصمة للشخص المعين كونه مختاراً على وفق تحديد إلهي.

إنّ مدرسة الجماعة ونظريتها التي تقوم على الاستخلاف فقد قالت بحق الأمة في اختيار الحاكم وتعيينه، ووضعت تطوراً لأليات الانتخاب تنوعت من الشورى الى الانتخاب، ثم التعيين، وأخيرا التعيين الذي يتم من قبل اهل الحل والعقد واتخاذ صفة البيعة شرطاً إلزامياً على جميع المسلمين.

المصادر:

القرآن الكريم.

ابن إسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار. ١٩٧٨م: سيرة ابن إسحاق. بيروت.

ابن البطريق الحلي، يحيى بن الحسن الاسدي. ١٩٨٥م: خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام تحقيق: محمد باقر المحمودي. منشورات مطبعة وزارة الإرشاد القومي. إيران.

ابن البطريق الحلي، يحيى بن الحسن الاسدي. ١٩٨٦م: عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار تحقيق: مالك المحمودي. مؤسسة النشر الإسلامي. إيران.

ابن الفراء، محمد بن الحسين الحنبلي. ٢٠٠٠م: الأحكام السلطانية. تحقيق: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حزم الاندلسي، علي بن احمد بن سعيد. ١٩٩٦م: الفصل في الملل والأهواء والنحل. تحقيق: محمد إبراهيم نصر الله وعبد الرحمن عميرة. منشورات دار الجيل. بيروت.

ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. ٢٠٠٤م: فضائل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب. تحقيق: حسن حميد السيد، مطبعة ليلى، إيران.

أبن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. د.ت: المسند. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون.٢٠٠٤م: مقدمة ابن خلدون. تحقيق: عبد الله الدرويش، دار يعرب، دمشق.

ابن زكريا، أحمد بن فارس بن زكريا. ١٩٧٩م: معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، بيروت.

ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم. ١٩٩٠م: الإمامة والسياسة. تحقيق: علي شيري. دار الأضواء، بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور. د.ت: لسان العرب. دار صادر، بيروت.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام المصري. د.ت: السيرة النبوية. تحقيق: ناجي إبراهيم، شركة الأرقم، بيروت.

الاصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر. ١٩٨٢م: الأمثال في الحديث النبوي. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد. منشورات الدار السلفية. الهند.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي. د.ت: صحيح البخاري. دار صادر. بيروت.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد. د.ت: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. تحقيق: محمد عثمان الخشت. منشورات مكتبة ابن سينا. القاهرة.

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر. ١٩٩٦م: أنساب

الاشراف. تحقيق: سهيل زكار. دار الفكر. بيروت.
التفتازاني، مسعود بن عمر. ١٩٩٨م. شرح المقاصد. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. عالم الكتب. بيروت.
الحاكم النيسابوري، ابي عبد الله محمد بن عبد الله. د.ت: المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
الحسن العسكري عليه السلام، الإمام الحسن بن علي بن محمد العلوي الهاشمي. ١٩٨٩م: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام. مطبعة مهر. قم المقدسة.
الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي. د.ت: معجم البلدان. دار صادر، بيروت.
الرازي، محمد بن ابي بكر. ٢٠٠٧م: مختار الصحاح. دار الفكر ناشرون، عمان.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال. ٢٠١١م: الدر المنثور في التفسير بالمأثور دار الفكر، بيروت.
الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. ٢٠١٣م: الملل والنحل. تحقيق: أحمد فهمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
الصدوق، محمد بن علي بن الحسين القمي. ٢٠١٢م: من لا يحضره الفقيه. شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
الصدوق، محمد بن علي بن الحسين القمي. ٢٠٠٧م: علل الشرائع. تقديم وتعليق: حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
الطبراني، ابي القاسم سليمان بن احمد. د.ت: المعجم الكبير. تحقيق: حمدي عبد المجيد، منشورات مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
الطبرسي، أحمد بن علي بن ابي طالب. د.ت: الاحتجاج. دار الدين القيم، بيروت.
الطبرسي، الفضل بن الحسن. د.ت: مجمع البيان في تفسير القرآن. مكتبة دار الحياة، بيروت.
الطبري، محمد بن جرير. ٢٠١٠م: تاريخ الامم والملوك. منشورات الاميرة للطباعة، بيروت.
العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي. ١٩٥٩م: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة. تحقيق: عبد الرحيم مبارك. مطبعة الهادي، قم المقدسة.
العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي. ١٩٩٤م: مناهج اليقين في أصول الدين. تحقيق: يعقوب الجعفري، مطبعة دار الأسوة، إيران.
العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي. ١٩٩٦م: المستجاد من كتاب الإرشاد. تحقيق: محمد البدري. مطبعة باسدار سلام، إيران.
العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي. ٢٠٠٦م: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد. تحقيق: حسن زاده مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، إيران.
علي بن طاووس، علي بن موسى الحسني. ١٩٩٧م: كشف المحجة لثمرة المهجة. تحقيق: محمد الحسون.

مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، إيران، ١٩٩٧م
القمي، علي بن إبراهيم. ٢٠١٤م: تفسير القمي. مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
الكليني، محمد بن يعقوب. ٢٠٠٥م: أصول الكافي. مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
الماوردي، علي بن محمد. د.ت: الأحكام السلطانية والولايات الدينية. دار الكتب العلمية، بيروت.
مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري. ١٩٩١م: صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي. ٢٠٠٨م: الارشاد. مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي. ٢٠٠٩م: الاختصاص. تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
النوبختي، الحسن بن موسى. ١٩٩٢م: فرق الشيعة. تحقيق: عبد المنعم الحنفي، منشورات دار الرشاد، القاهرة.
النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي. ٢٠٠١م: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (تحقيق: عادل عبد الموجود. منشورات مكتبة الباز، مكة المكرمة.
الهلالي، سليم بن قيس. ٢٠٠٩م: كتاب سليم بن قيس الهلالي. تحقيق: محمد الأنصاري. منشورات دار الحوراء بيروت.
اليعقوبي، احمد بن إسحاق.١٤٣٩هـ: تاريخ اليعقوبي. تعليق: خليل المنصور، منشورات دار الزهراء، إيران.

المراجع:

التميمي، حيدر قاسم مطر. ٢٠٠٦م: العلويين في المشرق وأثرهم الفكري والحضاري حتى نهاية القرن الخامس الهجري رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد.
الجابري، عبد الستار. ٢٠١٥م: المنهج السياسي لأهل البيت. دار الكفيل، كربلاء المقدسة.
الخزعلي، أمل هندي وآخر. ٢٠١٩م: الفكر السياسي الإسلامي المعاصر. دار السنهوري، بيروت.
دراز، محمد عبد الله. د.ت: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، مطبعة الحرية، بيروت.
الزاهي، نور الدين ٢٠١١م: المقدس والمجتمع. منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب.
الزاهي، نور الدين. ٢٠٠٥م: المقدس الإسلامي. منشورات دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب.
السبحاني، جعفر. د.ت: أهل البيت ﷺ في القرآن الكريم. منشورات مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدسة.
شاكر، كمال مصطفى.٢٠٠٦م: مختصر تفسير الميزان. مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.
شلحد، يوسف. ١٩٩٦م: بنى المقدّس عند العرب

قبل الإسلام وبعده. تعريب: د. خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت.

الصائغ، مجيد. ٢٠١٤م: الشيعة رواد العدل والسلام. منشورات مؤسسة البلاغ، بيروت.

الطباطبائي، محمد حسين. د.ت: الميزان في تفسير القرآن. منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.

الطريحي، فخر الدين. ٢٠٠٧م: مجمع البحرين. تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

طه، د. عبد الواحد ذنون. ٢٠٠٤م: أصول البحث التاريخي. دار المدار الإسلامي، بيروت.

عثمان، د. محمد رأفت. ١٩٨٦م: رياسة الدولة في الفقه الإسلامي. منشورات دار القلم، الإمارات.

العياري، الأسعد. ٢٠١٦م: القداسة في ضوء الحداثة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية.

الغوري، سيد عبد الماجد ٢٠٢٠م: السنة النبوية حجيتها وتدوينها. دار الشاكر للطباعة والنشر، ماليزيا.

الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى. ١٩٩٦م. التفسير الصافي. مطبعة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدسة.

قارة، صباح. ٢٠١٩م: إشكالية نزع القداسة من المعرفة. أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين-سطين ٢، كلية الآداب واللغات، الجزائر.

كايوا، روجيه. ٢٠١٠م: الانسان والمقدس. ترجمة: سميرة ريشا، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

لالاند، أندريه. ٢٠٠١م: موسوعة لالاند الفلسفية. تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس.

مرسيا إلياد. ١٩٨٨م: المقدس والمدنس، ترجمة: عبد الهادي عباس. منشورات دار دمشق، دمشق.

المزوري، زاهدة محمد الشيخ طه. ٢٠١١م: النظرية السياسية الإسلامية. دار ومكتبة البصائر، بيروت.

موافي، د. عثمان. ١٩٩١م: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

نصر الله، حسن عباس. ٢٠١٢م: سيرة أهل البيت عليهم السلام تجليات إنسانية. دار القارئ، بيروت.

النعمة، النعمة يوسف محمد علي. ٢٠١٧م: مقاصدية السنة النبوية وأثرها في إظهار مرونة الشريعة الإسلامية (أطروحة دكتوراه، جامعة الجزيرة، كلية التربية السودان.

النقوي، سيد محمد تقي. ١٤٣٦هـ: ضياء الفرقان في تفسير القرآن. مطبعة كوهر انديشه، طهران.

هاشم، د. احمد عمر. د.ت: السنة النبوية وعلومها. دار غريب للطباعة، القاهرة.

الوائلي، الشيخ أحمد. ٢٠٠٩م: هوية التشيع. منشورات دار الصفوة، بيروت.

مقالات المجلات:

جاسم، محمد صفاء: السنة النبوية وأثرها في بناء المنهج التفصيلي. مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٠٢.

الحضرمي، عمر: الدولة الصغيرة القدرة والدور. مجلة المنارة للبحوث والدراسات، ع٤، مج١٩.

سليمان، حسن سيد: أثر القرآن الكريم على الفكر السياسي الإسلامي. مجلة المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الانسانية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد ١١٠.

عزيزي، د. سعيدة: المقدس بين العادة والمعتقد. مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد ٣.

غباش، منوبي: المقدس. مجلة دراسات فلسفية، الجزائر. العدد ٤.

القدميري، الحاج: مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية. المجلة العربية للنشر العلمي، الأردن، العدد ٢٧.

القماطي، التيجاني: المقدس والعنف. مجلة دراسات فلسفية، الجزائر، العدد ٤.

محسن، عبد الناصر سلطان: المفهوم الوجودي للمقدس والمدنس في الإسلام، دراسة تحليلية. مجلة كلية الدراسات الإسلامية، كلية سلطان ازلان شاه الإسلامية الجامعية، ماليزيا. العدد ١٣.

المقالات الالكترونية:

حديث القوة. ٢٠٠٧م. موقع الالوكة. تاريخ الزيارة ٢٤/ ١/ ٢٠٢٢م. على الرابط https//Alokaa. org.com

الحديث القدسي.٢٠٢٣م. موقع ويكيبيديا، تاريخ الزيارة ٢٤/ ١/ ٢٠٢٢م، على الرابط https:// ar.wikipedia. org/wiki

مفهوم كلمة مشناه. ٢٠٢٢م. موقع ويكيبيديا، تاريخ الزيارة ١٧/ ٣/ ٢٠٢٣م.على الرابط https:// /ar.wikipedia. org/wiki